كيف نسعد في الدنيا

رقم الناشر الدولي (ISBN): ٨-٢-٦٦٨-٩٩٩٠١-٩٧٨
رقم الإيداع في المكتبة العامة في مملكة البحرين
٤٤٠/ د.ع/ ٢٠١٧

المؤلف: فؤاد محمود آل محمود
٢٠١٨م

الاستفتاح

{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ}(١٠٨) سورة هود

إهداء

أهدي كتابي للباحثين عن السعادة في الدنيا والآخرة...

وأخص الراغبين في إرشاد الناس إلى مالك السعادة الحقيقي، الذي يهبها لمن أطاع، ويسلبها عن من نأى وطغى بواسع علمه تعالى وحكمته، آملا أن يكون هذا الكتيب عونا للمؤمنين لتعزيز مراقبتهم لربهم والوفاء بواجبهم لحمل راية الإسلام من جديد ... آمين.

فؤاد محمود إبراهيم آل محمود

الفهرس

الاستفتاح ٢
إهداء ٣
المقدمة ٧
المبحث الأول: السنن الربانية ٩
أولا: سنن الله تعالى في عموم الناس ١٠
ثانيا: سنن الله تعالى في المنافقين ١٣
ثالثا: سننه تعالى في الكافرين ١٦
رابعا: سننه تعالى في أهل الكتاب ٢٣
خامسا: سنن الله تعالى في الأنبياء ٢٨
سادسا: سننه تعالى في المؤمنين إن أطاعوا ٣١
سابعا: سننه تعالى في المؤمنين إن عصوا ٣٨
ثامنا: الابتلاءات ٤٣
ملخص السنن الربانية ٤٣
خلاصة المبحث الأول ٤٦
المبحث الثاني: إقامة الدين ٤٨
إقامة الدين ٤٩
هديه تعالى رحمة للعالمين ٤٩
أمر أولي العزم من الرسل بإقامة الدين ٥٠
أمر أهل الكتاب بإقامة الدين ٥١
وصايا الأنبياء ٥١
أمر أهل الكتاب بأخذ الدين بقوة ٥١
أمر الأنبياء والرسل بالإيمان بسيدنا محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- ونصره ٥٢
لا يقبل تعالى دينا غير الإسلام ٥٢
الأمر بإقامة أحكام الإسلام ٥٣
الأمر بالتوجه التام لشرائع الدين ٥٣
الأمر بجعل الدين كله لله ٥٣
الأمر بالاحتكام إلى شرع الله تعالى ٥٤
الأمر بإخلاص الدين لله تعالى والتفقه فيه ٥٤
الأمر بعدم تقديم أي مصلحة على مصلحة الدين ٥٥
الأمر بعدم تقديم أي حكم على أحكامه تعالى ٥٥
الأمر بترك من يتخذ الدين لعبا وهزوا ٥٥
الارتداد عن الدين يحبط العمل ٥٦
سنن الاستبدال ٥٦
خلاصة المبحث الثاني ٥٦
المبحث الثالث: سبل الترقي في المحبة والسعادة الإلهية ٥٧
١- الترقي في الإيمان ٥٨

أ - الإيمان بوحدانية الله تعالى ٥٨
ب - الإيمان بالله تعالى خالق كل شيء ٥٩
جـ - الإيمان بأنّ الله تعالى مطلع على كل شيء..... ٦٠
د - الإيمان بالاستقلالية الشخصية للفرد ٦٠
هـ - الإيمان أنّ الجزاء في الدنيا قبل الآخرة..... ٦١
و - الإيمان باليوم الآخر..... ٦٢
ز - الإيمان بفتح أبواب التوبة والمغفرة ٦٢
حـ - الإيمان بمضاعفة الحسنات وتبديل السيئات..... ٦٢
٢ - الترقي في العبادات ٦٣
٣ - التمسك بمبادئ الإسلام..... ٦٣
أ - فعل الخير..... ٦٤
ب - إقامة العدل..... ٦٤
جـ - النهي عن الظلم..... ٦٤
د - النهي عن الفساد..... ٦٥
هـ - الإصلاح بين الناس..... ٦٦
و - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ٦٧
ز - العمل على جمع كلمة المسلمين..... ٦٨
٤- إعداد كل ما يستطاع من قوة على مستوى الأفراد ٧٢
أ – العلم..... ٧٢
ب – الموالاة..... ٧٣
جـ - المال..... ٧٣
د - أمور أخرى..... ٧٤
٥- الرقي بالأخلاق..... ٧٤
٦- الرقي بالعلاقات الأسرية والارحام..... ٧٦
أ - بر الوالدين..... ٧٦
ب - توطيد العلاقة الزوجية..... ٧٧
جـ - العناية بالأبناء..... ٧٨
د - صلة الأرحام..... ٧٩
٧ - تنمية العلاقات الاجتماعية..... ٨١
أ – الزكاة..... ٨١
ب – الصدقة..... ٨١
جـ - الأضحية..... ٨٢
د - الصلوات الخمس والجمعة والأعياد والحج..... ٨٢
هـ - الإحسان إلى الجيران..... ٨٣
و - الإحسان إلى اليتيم والأرملة ٨٣
ز - الإحسان إلى الأطفال ومجهولي الآباء..... ٨٤
حـ - الإحسان إلى المساكين وابن السبيل والسائلين..... ٨٤
ك - الإحسان إلى الكفار والمشركين المسالمين والمعاهدين..... ٨٥

ل - الإحسان إلى الخدم..... ٨٦
م - توقير الكبير ورحمة الصغير ٨٧
ن - التحيَّة وعيادة المريض واتِّباع الجنائز ٨٧
٨ - دعوة الناس إلى الإسلام..... ٨٧
أ - وجوب دعوة الناس إلى الإسلام ٨٨
ب - بم ندعوا الناس؟..... ٩١
خلاصة المبحث الثالث..... ٩١
خاتمة الكتاب ٩٢
الكتاب في سطور..... ٩٣
المصادر والمراجع..... ٩٤
السيرة الذاتية ٩٥

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثة تعالى رحمة للعالمين سيدنا محمد- الصادق الأمين-، وعلى النبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، عدد ما سبح المسبحون إلى يوم الدين، وكلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وبعد.

السعادة هي حصول الرضى الشامل في كل جوانب الحياة، وقد أخذ الله تعالى العهد على نفسه العلية أن يمنحها لمن تبع هديه وسار على شريعته ويحرمها عن من أعرض عن ذكره في قوله تعالى في سورة طه:{ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى(١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**}(١٢٤)، وجعل تعالى ذلك العهد سنّته الخالدة في الثقلين، الإنس والجن قبل نزول آدم وزوجه- عليهما السلام- إلى الأرض، وأوّل من أقِيم فيه تلك السنّة الذهبية الخالدة إبليس عندما أبى وأعرض عن السجود لأبي البشرية لآدم- عليه السلام-، ثمّ أخرج تعالى آدم وزوجه حواء من الجنّة عندما خالفا هديه تعالى وأكلا من الشجرة، وأهلك تعالى أتباع الأنبياء عندما أعرضوا عن ذكر الله تعالى ودينه، ونجّى تعالى من اتبع هديه في الدنيا من الأنبياء ومن آمن بهم، فلله تعالى سنن ماضية لا تتغير ولا تتبدل في كل فرد من أفراد خلقه في كل لحظة وحين إلى قيام الساعة عند الاتباع أو الإعراض عن هديه ودينه في الدنيا قبل الآخرة، ويقيم تعالى القيامة بسنّته الذهبية الخالدة عندما لا يوجد على الأرض من يقول الله الله، ويُدخل تعالى الناس الجنّة أو النار كلا بحسب عمله بتلك السنّة الربانية الخالدة.

وسَنَنه تعالى هي الجزاء الدنيوي الذي يمضيه تعالى في الناس جزاء نياتهم وأعمالهم، فلله تعالى سنن مختلفة في عموم الناس، وله تعالى سنن مختلفة في المنافقين، وللكافرين سنن، ولأهل الكتاب سنن، وللنبيّين سنن، وللمؤمنين إن أطاعوا سنن، وإذا عصوا سنن، وقد بيّن تعالى كل ذلك في كتابه العزيز وفي سنّة رسوله- صلى الله عليه وآله وسلّم- ليتجنب الفرد أسباب الشقاء ويعمل على الارتقاء في مراتب المحبة والسعادة الإلهية، فتمّ بيان ذلك في المبحث الأول.

وقد بيّن تعالى أنّ على طالب المحبة والسعادة الإلهية في الدنيا اتباع هديه وذكره سبحانه وتعالى كلّما جاء هديٌ منه جلّ جلاله، أي اتباع دينه الذي أتى به الأنبياء والرُّسل، ولذلك أمر تعالى من اتبع هديه عزّ وجل بإقامة دينه، وأخذه بقوة، وعدم التفريط في الالتزام بشريعته الإسلامية الغراء، فتمّ تناول وجوب إقامة الدين في النفس والناس في الأرض في الفصل الثاني.

أما في المبحث الثالث فتم بيان سُبل الترقي في المحبة والسعادة الإلهية في الدنيا، والتي يترقى فيها الفرد عن طريق إقامة قِيم الدين وشرائعه في الأرض لإقامة المجتمع الأمثل الذي ينشده تعالى لخلقه في الدينا، فكانت غايتي من كتابي كيف نسعد في الدنيا بيان طريق السعادة وسُبل الترقي في المحبة والسعادة الإلهية في الدينا قبل الآخرة.

المبحث الأول: السنن الربانية

لله تعالى سَنَن ربانية ماضية في كل لمحة بصر في جميع الناس في الدنيا لإسعادهم أو إشقائهم كلٌ بحسب عمله، لا بما يهواه الناس، وهذه السنن ثابتة لا تتغير إلى قيام الساعة لقوله تعالى في سورة الأحزاب:{ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاّ قَلِيلاً(٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً(٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً}(٦٢)، ولقوله تعالى في سورة فاطر:{ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً(٤٢) اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً}(٤٣)، وأنّ العذاب نازلا على من أعرض عن ذكره تعالى في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة غافر:{ فَلَمْ يَكُ يَفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ}(٨٥)، ولقوله تعالى في سورة الفتح:{ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً(٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً}(٢٣).

فلله تعالى ملك السماوات والأرض وكل شيء فيهما جند من جنوده ومؤتمر بأمره، فيسخر تعالى ما يشاء من جنوده لإسعاد من يشاء من خلقه بما عمل وقدّم، وإشقاء من يشاء بما اقترف لقوله تعالى في سورة الفتح:{ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً(٤) لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً(٥) وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ(في الدنيا) الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً(في الآخرة)(٦) وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً}(٧).

أولا: سنن الله تعالى في عموم الناس

يدخل في عموم الناس عموم المسلمين وغيرهم من المسالمين لدين الله تعالى، والذين يمثلون غالبية البشر، والذين يجب برّهم والإحسان إليهم ودعوتهم لدين الله تعالى لقوله تعالى في سورة الممتحنة:{ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(٨)، وقد بيّن تعالى سننه في

عموم الناس لينتبه الغافل من غفلته ويحذر العاصي من معاصيه، وينجو بنفسه قبل الآخرة، ومن سننه تعالى في عموم الناس على سبيل المثال لا الحصر:-

١- أن لا محاباة لأحد لقوله تعالى في سورة النساء:{ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ(في الدنيا) وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً(في الآخرة)}(١٢٣).

٢- لا زمن محدد للعقوبة في الدنيا ولا مكان ولا أمان لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ(٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ(٩٨) أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}(٩٩)، ولقوله تعالى في سورة الأعراف:{ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ}(١٠٠)، ولقوله تعالى في سورة النحل:{ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ}(٤٥).

٣- يسعد تعالى من اتبع هديه ويشقي من أعرض عن ذكره في الدنيا لقوله تعالى في سورة طه:{ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى(١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}(١٢٤)، ولقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}(٩٦).

٤- للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، وجزاء سيئة بمثلها في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة يونس:{ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ(في الدنيا) وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ(في الآخرة) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا(في الدنيا) وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ(في الآخرة) مَّا لَهُم مِّنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(٢٧).

٥- أنّ الله تعالى لا يهلك قرية ظلماً وأهلها مصلحون لقوله تعالى في سورة هود:{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}(١١٧)، حتى يبعث تعالى فيها رسولا يتلوا عليهم آياته وشرائعه وأحكامه كما قال تعالى في سورة القصص:{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ

الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ}(٥٩).

٦- لا يضل تعالى الناس حتى يبيّن لهم ما يتقون من شرائع وأحكام كما قال في سورة التوبة:{ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(١١٥).

٧- من كان يريد بعمله أجر الآخرة يزيد تعالى في أجره، ومن كان يريد أجر الدنيا يؤتيه تعالى منها وليس له في الآخرة من نصيب لقوله تعالى في سورة الشورى:{ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ}(٢٠).

٨- يصرف تعالى عن فهم آياته المتكبرين الكافرين المكذّبين لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ}(١٤٦).

٩- يهيئ تعالى لمن يعرض عن دين الرحمن شيطانا يقترن به لا ينفك عنه كما قال تعالى في سورة الزخرف:{ وَمَن يَعْشُ(يعرض) عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}(٣٦).

وقد أمضى تعالى سننه في إبليس فطرده من الجنّة ولعنه بعد إعراضه عن السجود لآدم- عليه السلام-، واهبط آدم- عليه السلام- إلى الأرض بعد أن أكل من الشجرة كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ(٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}(٣٦)، فما يصيب الإنسان من خير فمن الله تعالى وما يصيبه من سيئة فبعمله ومن نفسه لقوله تعالى في سورة النساء:{ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً}(٧٩).

ثانيا: سنن الله تعالى في المنافقين

بيّن تعالى سننه في المنافقين في الدنيا قبل الآخرة لينتهي المنافقون عن نفاقهم ويؤمنوا بآيات ربهم وينقذوا أنفسهم من عقوبته تعالى في الدنيا قبل الآخرة، ولكي لا يكونوا عقبة أمام إقامة المجتمع الأمثل الذي يريده تعالى للإنسانية، ولكي لا يكون لهم عذر يوم القيامة، والمراد بالمنافقين المحاربين لدين الله تعالى وللمؤمنين، الذين قال الله تعالى فيهم في سورة الممتحنة:{ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(٩)، وهم أخطر الناس على الدين والمؤمنين، كونهم يمكرون بدينه تعالى والمؤمنين، ويعيشون آمنين وسط المسلمين متعاونين مع أعداء الله تعالى ورسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- وهم في العموم سبعة أصناف:-

الصنف الأول: هم الباذلون أنفسهم لمحاربة دين الله تعالى والمؤمنين.

الصنف الثاني: الباذلون أموالهم لذلك.

الصنف الثالث: المحرضون غيرهم للنيل من دين الله تعالى والمؤمنين.

الصنف الرابع: الباذلون أنفسهم وأموالهم.

الصنف الخامس: الباذلون أنفسهم ومحرِّضوا غيرهم.

الصنف السادس: الباذلون أموالهم ومحرِّضوا غيرهم.

الصنف السابع: وهم الباذلون أنفسهم وأموالهم ومحرضوا غيرهم لمحاربة دين الله تعالى والمؤمنين وهم أشدهم عداوة، ودرجة نفاق كل صنف منهم متفاوتة، فيمضي تعالى سننه فيهم في الدنيا كلٌ بدرجة عداوته وجهده ومن سننه جلّ وعلى فيهم:-

١- أن يزيد الله تعالى نفاقهم ليزدادوا ضلالا لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ(٨) يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ(٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً(في الدنيا) وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ(في الآخرة)}(١٠)، وزيادة النفاق في قلوب المنافقين من أشد

العقوبات حيث أنهم لا يشعرون بها في الدنيا، بل قد يفرح المنافق بزيادة النفاق في قلبه، ولكن تتضح شدّتها وخطورتها يوم القيامة فيزداد عذابا.

٢- ومنهم من يبقى الله تعالى النفاق في قلوبهم إلى يوم القيامة لقوله تعالى في سورة التوبة:{ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ}(٧٧)، وهذه العقوبة من جنس الأولى.

٣- ومنهم من يعذبه الله تعالى مرتبين في الدنيا لقوله تعالى في سورة النساء:{ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ(في الدنيا) ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ(في الآخرة)}(١٠١).

٤- ومنهم من يفضحهم الله تعالى فيخرج ما في قلوبهم من النفاق كما قال تعالى في سورة التوبة:{ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِئُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ}(٦٤).

٥- ومنهم من يطبع الله تعالى النِّفاق على قلوبهم فلا يخرج منها ولا يدخلها إيمان لقوله تعالى في سورة المنافقون:{ إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ(١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ}(٣).

٦- ومنهم من لا يغفر الله تعالى لهم ولو استغفر لهم الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- كما قال تعالى في سورة المنافقون:{ سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}(٦).

٧- ومنهم من يتركهم الله تعالى في نفاقهم فلا يهديهم لقوله تعالى في سورة التوبة:{ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ(في نفاقهم) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}(٦٧).

٨- ومنهم من يركسهم الله تعالى في نفاقهم فلا يهديهم لقوله تعالى في سورة النساء:{ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً}(٨٨).

٩- ومنهم من يلعنهم الله تعالى فيصمّ آذانهم ويعمي أبصارهم عن الحق لقوله تعالى في سورة الفتح:{ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً}(٦)، ومن اللعن صمّ الآذان وإعماء الأبصار عن الحق لقوله تعالى في سورة محمد:{ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ(عن الحق والدين)}(٢٣).

١٠- ومنهم من يسلط الله تعالى عليهم المؤمنين لقتالهم، كما فعل تعالى بمنافقي المدينة كما قال تعالى في سورة الأحزاب:{ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاّ قَلِيلاً(٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً(٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً}(٦٢).

ثم يجعلهم تعالى في الدرك الأسفل من النار في الآخرة ولا يجدون لهم نصيرا كما قال تعالى في سورة النساء:{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً}(١٤٥).

فعقوبة المنافقين تتفاوت بتفاوت نفاقهم وجهدهم في محاربة دين الله تعالى والمؤمنين، فمنهم من يزيد تعالى نفاقهم ليزدادوا ضلالا ويبقى النفاق في قلوبهم إلى يوم القيامة، ومنهم من يعذبه تعالى مرتبين في الدنيا، ومنهم من يفضحهم تعالى فيخرج ما في قلوبهم من النفاق، ومنهم من يطبع تعالى النفاق على قلوبهم فلا يخرج منها فلا يدخلها إيمان، ومنهم من لا يغفر تعالى لهم ولو استغفر لهم الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-، ومنهم من ينساهم تعالى في نفاقهم فلا يهديهم، ومنهم من يركسهم تعالى في نفاقهم فلا يهديهم، ومنهم من يلعنهم تعالى فيصمّ آذانهم ويعمي أبصارهم عن الحق والدين، ومنهم من يسلط تعالى عليهم المؤمنين لقتالهم وليكونوا في الدرك الأسفل من النار في الآخرة.

ثالثا: سننه تعالى في الكافرين

بيّن تعالى سننه في الكافرين في الدنيا قبل الآخرة لينتهي الكفار عن كفرهم ويؤمنوا بربهم وآياته وينقذوا أنفسهم من عقوبته تعالى في الدنيا لينجوا بأنفسهم قبل الآخرة، ولكي لا يكونوا عقبة أمام إقامة المجتمع الأمثل في الأرض والذي يريده تعالى للإنسانية، ولا يكون لهم عذر يوم القيامة، والمراد بالكافرين الصنف الثاني من الناس المحاربين المعلنين عداوتهم لدينه تعالى وللمؤمنين، وهم في العموم سبعة أصناف كذلك:-

الصنف الأول: الباذلون أنفسهم لمحاربة دين الله تعالى والمؤمنين.

الصنف الثاني: الباذلون أموالهم لذلك.

الصنف الثالث: المحرضون غيرهم.

الصنف الرابع: الباذلون أنفسهم وأموالهم.

الصنف الخامس: الباذلون أنفسهم والمحرضوا غيرهم.

الصنف السادس: الباذلون أموالهم والمحرضون غيرهم.

الصنف السابع: الباذلون أنفسهم وأموالهم و المحرضون غيرهم لمحاربة دين الله تعالى والمؤمنين، وهم أشدهم عداوة، وكل صنف منهم درجات، فيتكفل الله تعالى بإقامة سننه فيهم كلٌ بقدر عداوته وجهده فمنهم:-

١- من يضلُّ الله تعالى أعمالهم ولا يهديهم للحق كما قال في سورة محمد:{ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}(١)، وإضلال الأعمال من أشد العقوبات حيث أنّ الكافر لا يشعر بها في الدنيا، بل قد يفرح الكافر بها، وتتضح شدّتها وخطورتها يوم القيامة بزيادة عذاب الآخرة.

٢- ومنهم من يفتنهم الله تعالى ولا يطهر قلوبهم من الكفر ليخزيهم في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة المائدة:{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ

تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(٤١).

٣- ومنهم من يلعنهم الله تعالى والملائكة والناس أجمعين في الدنيا كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(٨٦) أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(في الدنيا)(٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ(في الآخرة)}(٨٨)، واللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى، وهو من أشد العقوبات حيث أنّ الملعون لا يشعر بها في الدنيا، بل قد يفرح الكافر بها، ولا تتضح شدّتها وخطورتها إلّا يوم القيامة بزيادة عذاب الآخرة.

٤- ومنهم من يلعنهم الله تعالى في الدنيا بأنهم يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة لقوله تعالى في سورة النور:{ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(٢٣)، ومن اللعن صمّ الآذان وإعماء الأبصار عن الحق لقوله تعالى في سورة محمد:{ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}(٢٣)، أمّا الذين يرمون أمهات المؤمنين بالفاحشة فيُزيّن تعالى لهم الفاحشة فيقعوا فيها بأسماء مختلفة كالمتعة أو غيرها كما قال تعالى في سورة فاطر:{ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}(٨)، فكانت عقوبتهم من جنس ما يرمون به أمّهات المؤمنين.

٥- ومنهم من يجعل الله تعالى بينهم وبين الحق سدا حتى لا يصل إليهم(وهو من اللعن) فلا يبصرون ولا يؤمنون لقوله تعالى في سورة يس:{ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ(٩) وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}(١٠).

٦- ومنهم من يزيّن الله تعالى لهم أعمالهم ليعذبهم بها في الدنيا لقوله تعالى في سورة النمل:{ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ(٤) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ(في الدنيا) وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ}(٥)، ولقوله تعالى في سورة فاطر:{

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}(٨).

٧- ومنهم من يسلّط الله تعالى الشيطان عليهم ليزيّن لهم أعمالهم كما قال تعالى في سورة الأنعام:{ وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ(٤٢) فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}(٤٣).

٨- ومنهم من يختم الله تعالى على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم بالكفر لئلا يخرج منها الكفر ولا تنفعهم النذارة، ولا يدخلها إيمان، لقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ(٦) خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ}(٧)، والختم على القلوب والأسماع والأبصار من اللعن الأشد، وأقل اللعن صمّ الآذان وإعماء الأبصار لقوله تعالى في سورة محمد:{ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ(٢٢) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}(٢٣)، فعقوبة الكفّار في الدنيا من العقوبات الغليظة حيث لا يشعر الكافر بها في الدنيا فيتمادى في كفره.

٩- ومنهم من يطبع تعالى على قلوبهم فلا يدخلها إيمان ولا يخرج منها كفر لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ(١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ}(١٠٢).

١٠- ومنهم من يمهلهم الله تعالى في الدنيا ليزدادوا إثما لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً(في الدنيا) وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ(في الآخرة)}(١٧٨).

١١- ومنهم من يُيسِّر الله تعالى لهم الاستهزاء بالدين والمؤمنين لقوله تعالى في سورة الحجر:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ(١٠) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(١١) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ(١٢) لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ}(١٣).

١٢- ومن المستهزئين من يملي الله تعالى لهم ليهلكهم في الدنيا لقوله تعالى في سورة الرعد:{ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}(٣٢)، ولقوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}(١٠)، ولقوله تعالى في سورة النحل:{ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}(٣٤).

١٣- ومنهم من يزيد الله تعالى مشاقتهم وعداوتهم للرسل والمؤمنين كما قال تعالى في سورة النساء:{ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى(في الدنيا) وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً(في الآخرة)}(١١٥).

١٤- ومنهم من يقيض الله تعالى لهم قرناء ليزينوا لهم أعمالهم لقوله تعالى في سورة فصلت:{ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ}(٢٥).

١٥- ومنهم من يمدّهم الله تعالى بالأموال والأولاد ليعذبهم بها في الدنيا وليموتوا على الكفر لقوله تعالى في سورة التوبة:{ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}(٥٥).

١٦- ومنهم من يوقع الله تعالى بهم العقوبة لعلهم يتضرعون، فإن قست قلوبهم فتح تعالى عليهم أبواب نعمه ليهلكهم بغتة كما قال تعالى في سورة الأنعام:{ وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ(٤٢) فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ(٤٣) فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ(٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(٤٥).

١٧- ومنهم من يعذبهم الله تعالى في الدنيا ويحبط أعمالهم، ويوم القيامة لا يجدون نصيرا لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(في الدنيا)(٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ}(٢٢).

١٨- ومنهم من يعذبهم الله تعالى عذابا مهينا في الدنيا قبل الآخرة بسبب استكبارهم وإصرارهم على الكفر واتخاذ آياته تعالى هزوا كما قال تعالى في سورة الجاثيةَ:{ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(في الدنيا)(٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ(في الدنيا)(٩) مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئاً وَلا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(في الآخرة)(١٠).

١٩- ومنهم من يعذبهم الله تعالى عذابا شديدا(في الدنيا) بسبب صدهم الناس عن سماع القرآن وأمرهم باللغو فيه لقوله تعالى في سورة فصلت:{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ(٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً(في الدنيا) وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ(في الآخرة)(٢٧) ذَلِكَ جَزَاء أَعْدَاء اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاء بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}(٢٨).

٢٠- ومنهم من يخزيهم الله تعالى في الدنيا بسبب صدهم الناس عن مساجده تعالى وسعيهم في خرابها لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(١١٤).

٢١- ومنهم من يجعل الله تعالى نفقة أموالهم تؤول عليهم ثلاث حسرات، فلا تلبي الأغراض التي أنفقت من أجلها، ويغلبهم المسلمون في الدنيا ثم الخسران العظيم في الآخرة لقوله تعالى في سورة الأنفال فقال:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ(في الدنيا) والَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}(٣٦).

٢٢- ومنهم من يتكفَّل الله تعالى بإلقاء الرعب في قلوبهم عند اللقاء لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمْ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ}(١٥١)، ولقوله تعالى في سورة الفتح:{ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً(٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً}(٢٣).

٢٣- ومنهم من لا تنفعهم قرابتهم ولا أزواجهم عند نزول العذاب لقوله تعالى في سورة هود:{ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ}(٨١)، وكما حلّ بابن نوح- عليه السلام- لقوله تعالى في سورة هود:{ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ}(٤٣)، ولقوله تعالى في سورة الأنعام:{ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}(١٤٧).

٢٤- ومنهم من يخسف الله تعالى بهم الأرض على مستوى الأفراد كما فعل تعالى بقارون فقال في سورة القصص:{ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ(٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ(٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ(٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ}(٨١).

ومثال ذلك ما فعل تعالى بقوم سبأ لمّا أعرضوا عن هديه تعالى ودعوا بالشر فظلموا أنفسهم كما قال تعالى في سورة سبأ:{ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ(١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ(١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ(١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ(١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ(١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ(٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}(٢١).

وقد أهلك تعالى الأقوام الكافرة على مر الزمان في الدنيا كما قال تعالى في سورة الفرقان:{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً(٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَآ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً(٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً(٣٧) وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً(٣٨) وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً(٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِيَ أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً}(٤٠)، وحلم تعالى على قوم نوح– عليه السلام– ألف سنة إلا خمسون عاما، وأمهل تعالى الامم الأخرى بما يشاء بحكمته إلى ما شاء حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

فعقوبة الكافرين في الدنيا متفاوتة بحسب درجة كفرهم وعداوتهم لدين الله تعالى والمؤمنين، فمنهم من يضل تعالى أعمالهم ولا يهديهم، ومنهم من ولا يريد تعالى تطهير قلوبهم من الكفر، ومنهم من يلعنهم تعالى والملائكة والناس أجمعين، ومنهم من يلعنهم تعالى في الدنيا بأنهم يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة، ومنهم من يجعل تعالى بينهم وبين الحق سدا حتى لا يصل إليهم، ومنهم من يزين تعالى لهم أعمالهم، ومنهم من يختم تعالى على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم بالكفر، ومنهم من يطبع تعالى على قلوبهم فلا يدخلها إيمان ولا يخرج منها كفر، ومنهم من يمهلهم تعالى في الدنيا ليزدادوا إثما، ومن المستهزئين من يملي تعالى لهم ليهلكهم، ومنهم من يزيد تعالى مشاقتهم وعداوتهم، ومنهم من يقيض تعالى لهم قرناء ليزينوا لهم أعمالهم، ومنهم من يمدّهم تعالى بالأموال والأولاد ليعذبهم بها في الدنيا، ومنهم من يمتحنهم تعالى لعلهم يتضرعون، فإن قست قلوبهم فتح تعالى عليهم أبواب نعمه ليهلكهم بغتة، ومنهم من يعذبهم تعالى في الدنيا ويحبط أعمالهم، ومنهم من يعذبهم تعالى عذابا شديدا بسبب صدهم الناس عن سماع القرآن وصدهم الناس عن مساجده تعالى وسعيهم في خرابها، ومنهم من يجعل تعالى نفقة أموالهم تؤول عليهم ثلاث حسرات، فلا تلبي الأغراض التي أنفقت من أجلها، ويغلبهم المسلمون في الدنيا ومنهم من يخسف تعالى بهم الأرض.

رابعا: سننه تعالى في أهل الكتاب

بيّن تعالى سننه في أهل الكتاب في الدنيا قبل الآخرة تحذيرا لهم لينتهوا عن نهجهم وليؤمنوا بربهم وينقذوا أنفسهم من عقوبته تعالى في الدنيا وينجوا بأنفسهم قبل الآخرة، ولا يكونوا عقبة في سبيل إقامة المجتمع الأمثل الذي ينشده تعالى للإنسانية في الأرض، ولا يكون لهم عذر يوم القيامة، والمراد بأهل الكتاب هم المحاربون لله تعالى ولدينه والمؤمنين، وهم في العموم سبعة أصناف كذلك:-

الصنف الأول: الباذلون أنفسهم لمحاربة دين الله تعالى والمؤمنين.

الصنف الثاني: الباذلون أموالهم لذلك.

الصنف الثالث: المحرضون غيرهم.

الصنف الرابع: الباذلون أنفسهم وأموالهم لمحاربة دين الله تعالى والمؤمنين.

الصنف الخامس: الباذلون أنفسهم والمحرضون غيرهم.

الصنف السادس: الباذلون أموالهم والمحرضون غيرهم.

وأشدهم عداوة الصنف السابع: الباذلون أنفسهم وأموالهم والمحرضون غيرهم لمحاربة دين الله تعالى والمؤمنين، وكل منهم درجات، فيتكفل الله تعالى بإقامة سننه فيهم كلٌ بقدر عداوته وجهده، فبيّن تعالى سننه في أهل الكتاب للعبرة، وسننه تعالى فيهم:-

١- يغري الله تعالى العداوة والبغضاء بين بعض النصارى لنسيانهم مواثيقهم بالإيمان بما أنزل تعالى كما قال تعالى في سورة المائدة:{ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ}(١٤)، ومن المواثيق التي أخذت على أهل الكتاب والنبيين من قبل هو الإيمان بمحمد- صلى الله عليه وآله وسلم- ونصره كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ}(٨١).

٢ – حرّم الله تعالى على يهود كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم بسبب بغيهم على شرائع الله تعالى، وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل كما قال في سورة الأنعام:{ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ}(١٤٦)، وكما قال تعالى في سورة النساء:{ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً(١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً}(١٦١).

٣– أخزى الله تعالى بعض بني إسرائيل جزاء قتل بعضهم بعضا وإخراجهم من ديارهم وأخذهم الفدية منهم وهو محرمّ عليهم كما قال تعالى في سورة البقرة:{ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ}(٨٦).

٤– أشرب الله تعالى في قلوب بعض بني إسرائيل عبادة العجل عندما قالوا:" سمعنا وعصينا"، كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ}(٩٣).

٥– ضرب الله تعالى على بعض أهل الكتاب الذلة والمسكنة وباؤوا بغضبه تعالى بسبب كفرهم بآيات الله تعالى وقتلهم الأنبياء بغير حق وكانوا يعتدون، وقولهم على مريم بهتانا عظيما، وقولهم:" إنّا قتلنا المسيح ابن مريم"– عليه السلام– كما قال في سورة آل عمران:{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ(١١٠) لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ(١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ}(١١٢)،

وكما قال تعالى في سورة النساء:{ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقَّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً(١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً(١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً}(١٥٧).

٦- أحبط الله تعالى عمل بعض بني إسرائيل لقتلهم الأنبياء بغير حق وقتلهم الذين يأمرون بالقسط من الناس كما قال في سورة آل عمران:{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ}(٢٢).

٧- لعن الله تعالى بعض يهود وجعل قلوبهم قاسية بسبب تحريفهم كلام الله تعالى ونقضهم ميثاقهم ونسيانهم ما ذكروا به كما قال في سورة المائدة:{ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}(١٣)، وكما قال تعالى في سورة المائدة:{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}(٦٤).

٨- ولعن الله تعالى بعض يهود عندما قالوا لمشركي العرب أنهم أهدى من النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- كما قال في سورة النساء:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً(٥١) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً}(٥٢)، فأصمهم وأعمى أبصارهم عن الحق.

٩- ولعن الله تعالى بعض بني إسرائيل وسخط عليهم لعصيانهم واعتدائهم على حرمات الله تعالى وتوليهم الذين كفروا كما قال تعالى في سورة المائدة:{ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ(٧٨) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ(٧٩) تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ

كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ(في الدنيا) وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ}(٨٠).

١٠- خسف الله تعالى ببعض يهود وجعل منهم القردة عندما تجاوزا الحد في الظلم والطغيان فاصطادوا يوم السبت الذي حرم عليهم كما قال في سورة الأعراف:{ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(١٦٣) فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ}(١٦٦).

١١- أهلك الله تعالى بعض بني إسرائيل بالصاعقة عندما قالوا لموسى- عليه السلام-:" لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة" كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ}(٥٥).

١٢- حرّم الله تعالى على بعض بني إسرائيل دخول القدس أربعين سنة بسبب قولهم لموسى- عليه السلام-" إنّا لن لدخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون" كما قال تعالى في سورة المائدة:{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن الْعَالَمِينَ(٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ(٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ(٢٢) قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(٢٣) قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ(٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ(٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}(٢٦).

١٣- أخرج الله تعالى يهود بني قريضة من ديارهم وحصونهم وقذف في قلوبهم الرعب كما قال تعالى في سورة الحشر:{ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ}(٢).

١٤- تعهد الله تعالى لعيسى- عليه السلام- بنصر أتباعه المؤمنين حقا على من كفر وتعذيبهم في الدنيا كما قال في سورة آل عمران:{ إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ(٥٦).

١٥- بيّن الله تعالى أنّ عقوبة المعصية معصية أخرى كما حصل لبني إسرائيل عندما خرجوا مع نبيهم موسى- عليه السلام- سارقين حلي قوم فرعون فصنع السامري من حليهم عجلا فعبدوه كما قال تعالى في سورة طه:{ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ}(٨٧)، فعاقبهم تعالى أن سلط عليهم السامري فأخرج لهم من تلك الزينة عجلا جسدا له خوار امتحانا لهم فعبدوه من دون الله، فعاقبهم تعالى على تلك المعصية بأن يقتلوا أنفسهم كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(٥٤)، فقاتل من لم يعبد العجل الذين عبدوه.

فعقوبة أهل الكتاب المحاربين لدينه تعالى والمؤمنين تفاوتت بقدر كفرهم وعداوتهم لدين الله تعالى، وقد أمضى تعالى سننه فيهم فمنهم من أغرى تعالى العداوة والبغضاء بينهم عندما نسوا مواثيقهم، وحرّم تعالى على يهود كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم بسبب بغيهم على شرائع الله تعالى، وأخزى تعالى بعض بني إسرائيل جزاء قتل بعضهم بعضا وإخراجهم من ديارهم وأخذهم الفدية منهم والتي حرِّمت عليهم، وأشرب تعالى في قلوب بعض بني إسرائيل عبادة العجل عندما قالوا:" سمعنا وعصينا"، ضرب تعالى على بعض أهل الكتاب الذلة والمسكنة وباؤوا بغضبه تعالى بسبب كفرهم بآيات الله تعالى وقتلهم الأنبياء بغير حق وكانوا يعتدون، وبسبب قولهم على مريم بهتانا عظيما، وقولهم:" إنّا قتلنا المسيح ابن مريم"- عليه السلام-، وأحبط تعالى عمل بعض بني إسرائيل لقتلهم الأنبياء بغير حق وقتلهم الذين يأمرون بالقسط من الناس، ولعن تعالى بعض يهود وجعل قلوبهم قاسية بسبب تحريفهم كلام الله تعالى ونقضهم ميثاقهم ونسيانهم ما ذكروا به، ولعن تعالى بعض يهود عندما قالوا لمشركي العرب أنهم أهدى من النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-، ولعن تعالى بعض بني إسرائيل وسخط عليهم لعصيانهم واعتدائهم على حرمات الله تعالى وتوليهم الذين

كفروا، وخسف تعالى ببعض يهود وجعل منهم القردة عندما عتوا واصطادوا يوم السبت الذي حرم عليهم، وأهلك تعالى بعض بني إسرائيل بالصاعقة عندما قالوا لموسى- عليه السلام-:" لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة"، وأخرج تعالى يهود بني قريضة من ديارهم وحصونهم وقذف في قلوبهم الرعب، وتعهد تعالى لعيسى- عليه السلام- بنصر أتباعه المؤمنين حقا على من كفر وتعذيبهم في الدنيا، وبيّن تعالى أنّ عقوبة المعصية معصية أخرى كما حصل لبني إسرائيل عندما خرجوا مع نبيهم موسى- عليه السلام- فسلط تعالى عليهم السامري فأخرج لهم من تلك الزينة عجلا جسدا له خوار فعبدوه من دون الله، فعاقبهم تعالى على تلك المعصية بأن يقتل بعضهم بعضا.

خامسا: سنن الله تعالى في الأنبياء

الأنبياء هم خير خلق الله تعالى، اصطفاهم سبحانه واجتباهم لتبليغ رسالاته من بين خلقه، وهم قدوة الخلق في الأخلاق والالتزام بشرائع الله تعالى ودينه، وهم مأمورون بالصبر لأمر الله تعالى في الأمور التي لم يبيّنها الله تعالى لهم كما قال الله تعالى في سورة القلم:{ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ}(٤٨)، فالله جلّ وعلى لا يستثني أحداً من سننه تعالى الربانية:-

١- خرج يونس- عليه السلام- عن قومه بدون إذن ربّه وركب السفينة بعد كفرهم، فأسكن الله تعالى الرياح في عرض البحر، وأوقع الله تعالى القرعة عليه ليلقى في البحر فيلتقمه الحوت كما قال الله تعالى في سورة الصافات:{ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ(١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ(١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ(١٤٢) فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ(١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ(١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ(١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ(١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ}(١٤٨).

٢- أضل تعالى قوم موسى- عليه السلام- عندما استعجل لملاقاة ربه بعد ثلاثين ليلة كما قال تعالى في سورة طه:{ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى(٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى(٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ

السَّامِرِيُّ(٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي}(٨٦)

٣- بيّن الله تعالى أنّه يضاعف عقوبة زوجات الرسل وحسناتهن في الدنيا فيما لو صدر منهن فُحش كما قال تعالى لزوجات الرسول- صلى الله عليه وآله مسلم- في سورة الأحزاب:{ يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً(٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ(في الدنيا) وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً(في الآخرة)}(٣١)، ومثال ذلك ما فعل تعالى بامرأة نوح ولوط- عليهما السلام- كما قال تعالى في سورة التحريم:{ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ}(١٠).

٤- بيّن الله تعالى أنّه يغلّظ عقوبة الرسل في الدنيا والآخرة إذا صدر منهم ما لا ينبغي كما قال لرسوله- صلى الله عليه وآله مسلم- في سورة الإسراء:{ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً(٧٣) وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً(٧٤) إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً}(٧٥)، وكما قال تعالى في سورة الحاقة:{ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ(٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(بقوة وغلظة)(٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ(نياط عرق القلب، أو نخاع الظهر)(٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}(٤٧).

٥- وبالمقابل نجّى تعالى رُسله من غدر أقوامهم وأنعم عليهم في الدنيا كما قال تعالى في سورة الأنبياء:{ قالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ(٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ(٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ(٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ(٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ(٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ(٧٣) وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ(٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ(٧٥) وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ(٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ(٧٧) وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي

الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ(٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ(٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ(٨٠) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ(٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ(٨٢) وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ(٨٤) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ(٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ(٨٦) وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ(٨٨) وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ(٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ(٩٠) وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ}(٩١).

ومن أمثلة رعاية الله تعالى لأنبيائه في الدنيا قبل الآخرة العبر الكثيرة في قصة يوسف- عليه السلام- من طفولته إلى أن آتاه تعالى الملك وعلمه تعالى من تأويل الأحاديث كما قال تعالى في سورة يوسف:{ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}(١٠١).

ورعايته تعالى لموسى- عليه السلام- في الدنيا منذ أن حملته أمّه ورضيعا، فتربى في قصر فرعون، ثم زوجه تعالى من ابنة عمران، ثم اصطفاه تعالى رسولا وآتاه تعالى المعجزات، ونجاه تعالى ومن معه من بني إسرائيل وأهلك فرعون وقومه.

ورعاية الله تعالى لرسوله-صلى الله عليه وسلّم- في مواطن الدعوة والجهاد وإكمال الشريعة وهزيمة الكفّار والمشركين وإظهار دينه على كل دين.

فسننه تعالى ماضية في كل خلقه دون استثناء، فيضاعف الله تعالى عقوبة زوجات الرسل وحسناتهن كما فعل بامرأة نوح ولوط- عليهما السلام-، ونجي تعالى رُسله من غدر أقوامهم، ونصرهم في الدنيا، كما رعى الله تعالى موسى ويوسف- عليهما السلام- في الدنيا

منذ نشأتهما، فكان- صلى الله عليه وسلّم- لا يستعجل أمرا حتى يأذن الله تعالى فيه، فبدأ-صلى الله عليه وسلّم- الدعوة سرّا عندا الله قال تعالى في سورة المدثر:{ قُمْ فَأَنذِرْ}(٢)، ثمّ أنذر عشيرته الأقربين عند قوله تعالى في سورة الشعراء:{ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}(٢١٤)، ثمّ جهر بالدعوة عندما قال تعالى في سورة الحجر:{ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}(٩٤)، ولم يقاتل الكفّار عندما أشار عليه أصحابه وقال لم أؤمر بذلك، حتى نزل قوله تعالى في سورة الحج:{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}(٣٩).

سادسا: سنن الله تعالى في المؤمنين إن أطاعوا

بيّن الله تعالى سننه في المؤمنين إن أطاعوا، ليتمسكوا بدينهم ونهجهم، وليُرغِّبوا غيرهم في الدين، وليكونوا أساسا في الوصول إلى المجتمع الأمثل الذي ينشده تعالى للإنسانية، فالمؤمنون كذلك درجات متفاوتة وهم في العموم ثمانية أصناف:-

الصنف الأول: العُبّاد المتقون.

الصنف الثاني: الباذلون أنفسهم لإعلاء ونصر دين الله تعالى والمؤمنين.

الصنف الثالث: الباذلون أموالهم لذلك.

والصنف الرابع: المحرضون غيرهم لإعلاء دينه تعالى.

الصنف الخامس: الباذلون أنفسهم وأموالهم لنصر دين الله تعالى والمؤمنين.

الصنف السادس: الباذلون أنفسهم والمحرضون غيرهم.

الصنف السابع: الباذلون أموالهم والمحرضون غيرهم.

الصنف الثامن: العباد الباذلون أنفسهم وأموالهم والمحرضون غيرهم لنصر دين الله وإعلاء كلمته، وهم درجات من كل صنف، فيتكفل الله تعالى بإقامة سننه فيهم كلٌ بدرجة جهده وإخلاصه وتقواه:-

١- من لا يجعل الله تعالى للشيطان عليهم سبيلا لقوله تعالى في سورة الحجر:{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ(٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}(٤٢).

٢- ومنهم من يُكفِّر الله تعالى سيئاتهم ويصلح بالهم كما قال في سورة محمد:{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}(٢).

٣- ومنهم من يزيدهم الله تعالى هدىً ويؤتيهم تقواهم في الدنيا كما قال في سورة محمد:{ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}(١٧).

٤- ومنهم من يهديهم الله تعالى إلى سبله لتحقق المصالح على أيديهم كما قال تعالى في سورة العنكبوت:{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}(٦٩).

٥- ومنهم من يضاعف الله تعالى أجر أعمالهم كما قال تعالى في سورة سبأ:{ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ(في الدنيا) بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}(٣٧).

٦- ومنهم لهم الحياة الطيبة في الدنيا كما قال تعالى في سورة النحل:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً(في الدنيا) وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ(في الآخرة)}(٩٧).

٧- ومنهم من يخرجهم الله تعالى من ظلمات تشريعات الطواغيت إلى نور التشريع الإلهي كما قال تعالى في سورة البقرة:{ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(٢٥٧).

٨- ومنهم من يبشرهم ويطمئنهم الله تعالى في الحياة الدنيا كما قال في سورة يونس:{ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢) الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ

يَتَّقُونَ(٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(٦٤).

٩- ومنهم من يجعل الله تعالى لهم فرقانا يُميّزون به بين الحق والباطل إن هم اتقوه تعالى ويكفر عنهم سيئاتهم ويغفر لهم كما قال في سورة الأنفال:{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}(٢٩).

١٠- ومنهم من يدافع الله تعالى عنهم في الدنيا كما قال في سورة الحج:{ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ}(٣٨)، ومن ذلك أن أجل تعالى فتح مكة في صلح الحديبية في العام السادس صيانة لدماء بعض المؤمنين الغير معروفين، رغم أنّ الكفار يستحقون العقوبة لصدهم النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- والمؤمنين عن المسجد الحرام، ومنعهم وصول الهدي لفقراء الحرم كما قال في سورة الفتح:{ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً(٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً(٢٥).

١١- ومنهم من يكفّ الله تعالى الأذى عنهم كفتية أصحاب الكهف الذين قال تعالى فيهم:{ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً(٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً(١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً(١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً(١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى(١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً(١٤) هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً(١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً}(١٦)، وقد هدّدهم قومهم بالرجم أو الرجوع إلى ملة قومهم كما قال تعالى في سورة الكهف:{ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً}(٢٠)، وحماهم تعالى من أن يقترب أحداً من كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا

تسعا كما قال تعالى:{ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً}(١٨).

١٢- ومنهم من يتكفّل الله تعالى بمنع الشر عنهم ولو كان من أقرب الناس لهم كما قال تعالى في سورة الكهف:{ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً(٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً}(٨١).

١٣- ومنهم من يحفظ الله تعالى خيرهم ليصل إلى ذريتهم كما قال تعالى في سورة الكهف أيضا:{ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً}(٨٢).

١٤- ومنهم من يبارك الله تعالى في نذورهم الصالحة كمنّته تعالى على امرأة عمران عندما نذرت ما في بطنها محررا لله تعالى ولخدمة بيته، فوهبها تعالى مريم- عليها السلام- كما ورد في سورة آل عمران حيث قال تعالى:{ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}(٣٦)، وهيئ تعالى لمريم- عليها السلام- من يكفلها ويعلمها دينها كما قال تعالى في سورة آل عمران{ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}(٣٧)، ثم رزق تعالى مريم- عليها السلام- عيسى ابن مريم- عليه السلام- كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ(٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ}(٤٦).

١٥- ومنهم من يجعل الله تعالى لهم فرقانا يميزون به بين الحق والباطل كما قال في سورة الأنفال:{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}(٢٩).

١٦- ومنهم من يستغفر لهم حملة العرش ويدعونه تعالى أن يدخلهم تعالى الجنة مع من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم كما قال تعالى في سورة غافر:{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ(٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(٩).

١٧- ومنهم من لا يمكّن الله تعالى العدوّ منهم وينصرهم كما قال تعالى في سورة إبراهيم:{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ(١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ(١٤) وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}(١٥)، ولقوله تعالى في سورة غافر:{ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ}(٥١)، وكما قال في سورة الصافات:{ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ(١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ(١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}(١٧٣)، وكما قال في سورة محمد:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}(٧)، ولقد أخرج تعالى بني قريضة من حصونهم بالرعب في خيبر وجعلهم غنيمة للمسلمين كما قال تعالى في سورة الحشر:{ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ}(٢)، وهزم تعالى بالمسلمين فارس والروم في نفس السنة.

١٨- ومنهم من يستخلفهم الله تعالى في الأرض ويبدل خوفهم أمنا كما قال تعالى في سورة النور:{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ}(٥)، ولقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ(١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ}(١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}(١٠٧).

١٩- ومنهم من يمدّهم الله تعالى بالملائكة ويضاعف أعدادهم عند القتال بصبرهم وتقواهم كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ(١٢٤) بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ(١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}(١٢٦).

٢٠- ومنهم من ينصرهم الله تعالى على عشر أضعاف عددهم عند لقاء العدو لقوة إيمانهم وإخلاصهم كما قال تعالى في سورة الأنفال:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ}(٦٥).

٢١- ومنهم من ينصرهم الله تعالى على ضعف عددهم عند ضعف إيمانهم وإخلاصهم كما قال تعالى في سورة الأنفال:{ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}(٦٦).

٢٢- ومنهم من يجعل الله تعالى النصر حقا عليه سبحانه لهم كما قال تعالى في سورة الروم:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}(٤٧).

٢٣- ومنهم من يُظهر الله تعالى دينه على أيديهم كما قال تعالى في سورة الفتح:{ لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرؤيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ ومُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحا قَرِيبا(٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}(٢٨)، وكما قال في سورة التوبة:{ يُرِيدُونَ(أهل الكتاب) أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}(٣٣)، وكما قال تعالى في سورة الصف:{ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ والله مُتِمٌّ نُورَهُ ولَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}(٩).

ولما ورد في صحيح مسلم عن نافع بن عتبة قال:{ كنا مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في غزوة، قال فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف فوافقوه عند أكمة فإنهم لقيام ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- قاعد، قال: فقالت لي نفسي إئتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه، قال ثم قلت: لعله نجي معهم، فأتيتهم فقمت بينهم وبينه، قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدُّهن في يدي قال: تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجّال فيفتحه الله}، قال: فقال نافع: يا جابر لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم}، ثم يكون النصر في آخر الزمان على الدجّال.

ولما جاء في مجمع الزوائد عن تميم الداري قال سمعت رسول الله- صلى الله عليه وأله وسلم يقول:{ ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليل، عزّاً يعزُّ الله به الإسلام وذلاً يذلُّ الله به الكفر}، وكان تميم الداري يقول عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية}.

٢٤- ومنهم من يتعهد الله تعالى بنصرهم وهزيمة كل الحضارات المعرضة عن دين الله تعالى على أيديهم كما قال في سورة النحل:{ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ(٢٢) لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ(٢٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ(٢٤) لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ(٢٥) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ(كما انهار الاقتصاد الربوي العالمي على رؤسهم) وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ(في الدنيا)(٢٦).

ومن أمثلة نصره تعالى للمؤمنين دون قتال ما كان في غزوة الأحزاب رغم كثرة عدد الكفار وعُدتهم وخيانة اليهود والمنافقين من داخل المدينة كما قال تعالى في سورة الأحزاب:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً(٩) إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا(١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ

وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً(١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً(١٢) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً(١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاّ يَسِيراً}(١٤)، إلى أن قال تعالى:{ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً(٢٥) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ(خيبر) وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً(٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً}(٢٧).

فالمؤمنون درجات فمنهم من لا يجعل للشيطان عليهم سبيلا، ومنهم من يزيدهم تعالى هدىً ويؤتيهم تقواهم، ومنهم من يهديهم تعالى إلى سبله لتحقق المصالح على أيديهم، ومنهم من يضاعف تعالى أجر أعمالهم، ومنهم من لهم الحياة الطيبة، ومنهم من يخرجهم تعالى من ظلمات تشريعات الطواغيت إلى نور التشريع الإلهي، ومنهم من يبشرهم تعالى ويطمئنهم، ومنهم من يدافع تعالى عنهم، ومنهم من يكفّ تعالى الأذى عنهم، ومنهم من يتكفل تعالى بمنع الشر عنهم ولو كان من أقرب الناس لهم، ومنهم من يحفظ تعالى خيرهم ليصل إلى ذريتهم، ومنهم من يبارك تعالى في نذورهم الصالحة كمنّته تعالى على امرأة عمران، ومنهم من يجعل تعالى لهم فرقانا يميزون به بين الحق والباطل، ومنهم من يستغفر لهم حملة العرش، ومنهم من لا يمكّن تعالى العدو منهم، ومنهم من يستخلفهم تعالى في الأرض ويبدل خوفهم أمنا، ومنهم من يمدهم تعالى بالملائكة ويضاعف أعدادهم، ومنهم من ينصرهم على عشر أضعافهم، ومنهم من ينصرهم على ضعفيهم، ومنهم من يجعل تعالى النصر حقا عليه لهم، ومنهم من يُظهر تعالى دينه على أيديهم، فيمنح تعالى السعادة والمحبة الإلهية للمؤمنين كلا بحسب عمق إيمانه وتقواه وصدقه وإخلاصه.

سابعا: سنن الله تعالى في المؤمنين إن عصوا

بيّن الله تعالى سننه في المؤمنين إن عصوا في الدنيا قبل الآخرة لينتهوا عن معاصيهم وينقذوا أنفسهم من عقابه تعالى في الدنيا، وليحذّروا غيرهم من المعاصي ولينجوا بأنفسهم قبل الآخرة، ولا يكونوا قدوة سيئة وعقبة في الوصول إلى المجتمع الأمثل الذي

يريده تعالى للإنسانية، ولا يكون لهم عذر يوم القيامة، فالله تعالى لا يستثني أحد من سننه إن عصوا وإن كانوا مؤمنين، فعقوبته تعالى تتناسب مع عِظم معاصيهم:-

١- فمنهم من يفشي الله تعالى فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم إن ظهرت فيهم الفاحشة ولم ينكروها، ومنهم من يأخذهم تعالى بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم إن أنقصوا الميزان، ومنهم من يمنع القطر من السماء عنهم إن هم منعوا زكاة أموالهم، ومنهم من يسلط تعالى عليهم عدوهم من غيرهم فيأخذوا بعض ما كان في أيديهم إن هم نقضوا عهد الله وعهد رسوله، ومنهم من يجعل تعالى بأسهم بينهم فيقتل بعضهم بعضا إن لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله لما ورد في شعب الإيمان للإمام البيهقي عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولا ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم}.

٢- ومنهم من يأخذ الله تعالى بعض ما آتاهم في الدنيا إن اجمعوا على المعصية كما حلّ بأصحاب الجنة عندما عزموا على جني ثمار جنتهم ومنع حق الفقراء كما قال تعالى في سورة القلم:{ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ(١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ(١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ(٢٠) فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ(٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ(٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(٢٣) أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ(٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ(٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ(٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ(٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ(٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ(٣١) عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ(٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ(في الدنيا) وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}(٣٣).

٣- ومنهم من يمطرهم الله تعالى بحجارة من سجيل منضود إن أجمعوا على فاحشة قوم لوط، بل كل من يجمع من البشر على تلك المعصية لقوله تعالى في سورة هود:{ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ(٨١) فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ(٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}(٨٣)، فالعقوبة قريبة ممن يقترفها في الدنيا.

٤- ومنهم من يمكّن الله تعالى العدوّ منهم إن لم يلتزموا بأمر سول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- كما كان في غزوة أحد بعد نزولهم عن الجبل بغير أمره- صلى الله عليه وآله وسلم-، فلا نصر مع المعاصي كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ(١٦٤) أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(١٦٥).

٥- ومنهم من يسلط الله تعالى عليهم الشيطان فيغويهم إذا انسلخوا وتنكروا لدين الله تعالى وشرائعه كما قال في سورة الأعراف:{ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ(١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(١٧٦).

٦- ومنهم من يبعث الله تعالى عليهم عقابا أو قوما يهزمونهم إن لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، فيدعون الله تعالى فلا يستجيب لهم، لما جاء في مسند الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان-رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال:{ والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليبعثن عليكم قوما، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم}، ولما جاء في صحيح الإمام البخاري عن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمانِ- رضي الله عنه-، عن النبيّ- صلى الله عليه وآله وسلم- قال:{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ ولَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ فَتَدْعُونَهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ}.

٧- ومنهم من يعذب الله تعالى الخاصة والعامة إن تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهم قادرون على إنكاره لما ورد في مسند الإمام أحمد عن عدي بن عميرة-

رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– يقول:{ إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة}.

٨– ومنهم من يلعنهم الله تعالى إن تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ– رضي الله عنه– قال: قال رَسُولُ الله– صلى الله عليه وسلم–:{ إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هٰذَا اتَّقِ الله وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فإِنَّهُ لا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ الله قُلُوب بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ قالَ:" لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بني إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون}، ثُمَّ قالَ: كَلاَّ والله لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عن المُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْراً، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْراً} وفي رواية " أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ".(فيقتل بعضهم بعضا).

٩– ومنهم من يُمكّن الله تعالى من هزيمتهم إذا توكلوا على قوتهم، كيوم حنين إذ قالوا:" لن نهزم اليوم من قلة" كما قال في سورة التوبة:{ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ}(٢٥).

١٠– ومنهم من يبادرهم الله تعالى بالحرب إن لم ينتهوا عن أكل الربا كما قال في سورة البقرة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ}(٢٧٩).

١١– ومنهم من يلعنهم الله تعالى إن كتموا ما أنزل تعالى للناس وتلعنهم الملائكة اللاعنون كما قال في سورة البقرة:{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ}(١٥٩).

١٢- ومنهم من يمنع الله تعالى هدايته عنهم إن هم اتخذوا آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وأموالهم وتجارتهم ومساكنهم وكانت أحب إليهم من الله ورسوله وجهاد في سبيله لقوله تعالى في سورة التوبة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}(٢٤).

١٣- ومنهم من يحبط الله تعالى أعمالهم وهم لا يشعرون إن هم قدّموا أحكاما أو تشريعا على تشريعه تعالى ورسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- لقوله تعالى في سورة الحجرات{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ}(٢).

فالمؤمنون في معاصيهم ليسوا سواء فمنهم من يفشي تعالى فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم إن ظهرت فيهم الفاحشة ولم ينكروها، ومنهم من يأخذهم تعالى بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم إن أنقصوا الميزان، ومنهم من يمنع تعالى القطر من السماء عنهم إن هم منعوا زكاة أموالهم، ومنهم من يسلط تعالى عليهم عدوهم من غيرهم فيأخذوا بعض ما كان في أيديهم إن هم نقضوا عهد الله وعهد رسوله، ومنهم من يجعل تعالى بأسهم بينهم فيقتل بعضهم بعضا إن لم يحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله، ومنهم من يأخذ تعالى بعض ما آتاهم في الدنيا إن اجمعوا على المعصية، ومنهم من يمطرهم تعالى بحجارة من سجيل منضود إن أجمعوا على فاحشة قوم لوط، ومنهم من يمكّن تعالى العدو منهم إن لم يلتزموا بأمر سول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، ومنهم من يسلط تعالى عليهم الشيطان فيغويهم إذا انسلخوا وتنكروا لدين الله تعالى وشرائعه، ومنهم من يبعث تعالى عليهم عقاب أو قوما يهزمونهم إن لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولا يستجيب تعالى لدعوة الصالحين منهم، ومنهم من يعذب تعالى الخاصة والعامة إن تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهم قادرون على إنكاره، ومنهم من يلعنهم إن تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنهم من يمكن تعالى من هزيمتهم إذا توكلوا على قوتهم، ومنهم من يبادرهم تعالى بالحرب إن لم ينتهوا عن أخذ الربا، ومنهم

من يلعنهم تعالى إن كتموا ما أنزل تعالى للناس وتلعنهم الملائكة اللاعنون، ومنهم من يمنع الله تعالى هديه عنهم إن هم اتخذوا آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وأموالهم وتجارتهم ومساكنهم أحب إليهم من الله ورسوله وجهاد في سبيله، ومنهم من يحبط الله تعالى أعمالهم وهم لا يشعرون إن هم قدموا أي حكم أو تشريع على تشريعه تعالى ورسوله- صلى الله عليه وآله وسلم-، فليحذر المسلمون من المعاصي فإنها تزيل النعم، فما نزل بإخواننا في العراق وسوريا واليمن وغيرهم خير شاهد على ذلك.

ثامنا: الابتلاءات

الابتلاء أساس من السنن الربانية في الناس بكافة توجهاتهم، وهو مرتكز في الحياة الدنيا لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ الم(١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ(٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}(٣) فبالابتلاء تتميز درجات الإيمان والكفر والنفاق والمحبة والعداوة لدين الله تعالى فبالبلاء-:

١- تتميز درجات الناس أيهم أحسن عملا لقوله تعالى في سورة الملك:{ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}(٢).

٢- تتميز درجات الصابرين وتتباين بِشاراتهم كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ(١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}(١٥٧)، ولقوله تعالى في سورة البقرة:{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ}(٢١٤).

٣- وبه تتميّزُ درجات الصادقين والكاذبين لقوله تعالى في سورة العنكبوت:{ الم(١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ(٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}(٣).

٤- وبه تتباين عزائم الأمور لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}(١٨٦).

٥- وبه تبايُن درجات المجاهدين والصابرين كما قال تعالى في سورة محمد:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}(٣١).

٦- وبه تتميّز درجات المؤمنين والمنافقين لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ(١٦٦) وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ}(١٦٧).

٧- وبه تتباين درجات الذين يخافون الله تعالى بالغيب لقوله تعالى في سورة المائدة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(٩٤).

٨- وبه تكفر السيئات لما ورد في صحيح الإمام البخاري، عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة- رضي الله عنهما- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب(الوجع) ولا هم(القلق) ولا حزن ولا أذى ولا غم(الكرب) حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه.

٩- لتمحيص إيمان الرسل والذين آمنوا على مر العصور كما قال تعالى في سورة الأنعام:{ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ}(٣٤)، ومنه ما أصاب أصحاب الأخدود كما قال تعالى في سورة البروج:{ السَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ(١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ(٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ(٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ(٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ(٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ(٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ(٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ(٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}(٩)، لينالوا أجر صبرهم في الدنيا ويدخلون الجنّة في الآخرة.

١٠- والغاية الأخرى من الابتلاء أن يرجع النّاس إلى ربهم لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}(١٦٨)، ولقوله تعالى في سورة الشورى:{ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}(٣٠).

١١- ولتكفير السيئات لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة- رضي الله عنهما- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال:{ ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب(الوجع) ولا هم(القلق) ولا حزن ولا أذى ولا غم(الكرب) حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه}، فكلّ إنسان أدرى بنفسه.

١١- البلاء بشارة للصابرين لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ(١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}(١٥٧).

فسنن الله تعالى ماضية في الناس مؤمنهم وكفارهم ومنافقهم ومحبهم ومبغضهم لتتفاضل وتتميز درجات كلٌ منهم، وليكون البلاء بشرى للصابرين وتنزل الرحمات وتميُّز درجات الصادقين، ولتفاضل العزائم في الأمور، ولتتباين درجات المجاهدين والصابرين، والذين يخافون الله تعالى بالغيب ولتكفير السيئات والأجل أن يرجع الناس إلى بهم بالتوبة والاستغفار ويزكوا أنفسهم ليسعدوا في الدنيا قبل الآخرة.

ملخص السنن الربانية

١- يسعد الله تعالى من اتبع هديه ودينه، ويشقي الله تعالى من أعرض عن ذكره ودينه.

٢- السعادة في فعل الطاعات، والشقاء في اقتراف المعاصي.

٣- أنّ لكل طاعة ثواب حسن في الدنيا، إلا أن يؤجله تعالى بحكمته إلى ما يشاء ومتى يشاء.

٤- أنّ لكل معصية عقوبة سيئة في الدنيا، إلا أن يعفو تعالى عنها أو يؤجلها تعالى بحكمته إلى ما يشاء ومتى يشاء.

٥- درجة الثواب والعقاب في الدنيا يتناسب مع عظم الطاعة أو المعصية للواجبات التي فرضها تعالى.

٦- لا محاباة لأحد، والجزاء في الدنيا والآخرة بالذرة لقوله تعالى في سورة الزلزلة:{ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ(٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ}(٨).

٧- لا سواء لمن اتبع هديه تعالى ومن أعرض عن ذكره تعالى في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة الجاثية:{ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ}(٢١).

٨- لا زمن ولا مكان محدد للعقوبة ولا أمان لقوله تعالى في سورة الأعراف:{ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ(٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ(٩٨) أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}(٩٩).

فسعادة وشقاء كل إنسان بيده في الدنيا قبل الآخرة ولا يلومنّ أحد غيره، فعلى المسلم الاستمساك بهديه تعالى بفعل الخير والإكثار منه والإخلاص فيه والدعوة إليه لإقامة المجتمع الأمثل الذي ينشده تعالى للناس.

خلاصة المبحث الأول

السنن الربانية ماضية في الناس جميعا في الدنيا مؤمنهم وكفارهم منذ أن أخرج الله تعالى أبوهم آدم وزوجه حواء- عليهما السلام- من الجنّة إلى قيام الساعة كلاٌ بحسب نيّاته وأعماله بسنّته الخالدة في قوله تعالى في سورة طه:{ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}(١٢٤)، فما يصيب الإنسان من العين أو السحر أو مصيبة أو مرض فهو بتقدير الله تعالى وبإذنه لقوله تعالى في سورة

الحديد:{ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}(٢٢)، ولقوله تعالى في سورة التغابن:{ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(١١)، فإمّا أن يكون الفرد مستحق لتلك العقوبة كما قال تعالى في سورة الشورى:{ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}(٣٠)، أو أنّها كفّارة عن ما بدر منه لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة– رضي الله عنه– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال:{ ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه}، أو أنّ ذلك ابتلاء وامتحان فعليه بالصبر والمصابرة، فما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

المبحث الثاني: إقامة الدين

السعادة في الدنيا قبل الآخرة في اتباع هديه تعالى، والشقاء لمن أعرض عن ذكره تعالى، وهديه وذكره تعالى هو دينه من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، فما أنزل تعالى دينه إلاّ ليرحم خلقه، وهو تعالى أدرى بحاجتهم فشرع لهم الدين ليصون علاقتهم بربهم ورسلهم وبوالديهم وأزواجهم وأولادهم وجيرانهم، ويوطد العلاقات الاجتماعية في المجتمعات، فيصون كرامة الضعفاء كالفقراء والمساكين والارامل واليتامى، وليُحترم الكبير ويُرحم الصغير، ويصان حق غير المسلمين، ويُرحم الحيوانات والبهائم، وليُعتنى بالزروع والبيئة، ولذلك أوجب تعالى إقامة دينه في الأرض في قوله تعالى في سورة الشورى:{ أن أقيموا الدين ولا تتفرقّوا فيه} لنيل تلك السعادة في الدنيا قبل الآخرة.

إقامة الدين

أمر الله تعالى الأنبياء والرسل–عليهم الصلاة والسلام– بإقامة الدين في الأرض ووصّى الأنبياء أبنائهم وأتباعهم بإقامة الدين، وأمر تعالى أهل الكتاب بإقامة الدين وأخذه بقوة وعدم التفريط في أي حكم من أحكامه، وأخذ تعالى العهد على جميع الأنبياء والرسل باتباع محمد– صلى الله عليه وآله وسلم– ونصره ليجتمع اتباع الرسل وتتوحد كلمتهم وجهودهم لإقامة دينه تعالى في الأرض، وبيّن تعالى أنه لا يقبل دينا غير الإسلام بعد بعثته– صلى الله عليه وآله وسلم–، وأمر تعالى المسلمين بالتوجه التام لشرائع دينه وإقامة أحكام الإسلام في الناس، وأمر تعالى بجعل الدين كله لله، والاحتكام إلى شرعه، وإخلاص الدين له تعالى والتفقه فيه، وأمر بترك من يتخذ الدين لعبا وهزوا، وسنّ تعالى الاستبدال في الدنيا إذا تمّ الإعراض عن إقامة الدين في الأرض.

هديهُ تعالى رحمة للعالمين

بيّن الله تعالى أنّ الغاية من تنزيل الدين هو رحمة العالمين إنسهم وجِنّهم، وقد كتب وفرض سبحانه على نفسه الرحمة لخلقه إن هم أقاموا الدين كما قال الله تعالى في سورة الأنعام:{ وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(٥٤)، وما أنزل الله تعالى شرائع وأحكام التوراة إلا هدى ورحمة لقوله تعالى في سورة الأنعام:{ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ

يُؤْمِنُونَ}(١٥٤)، ولقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}(١٥٤)، ولقوله تعالى في سورة الأحقاف:{ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ}(١٢)، ولقوله تعالى في سورة القصص:{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}(٤٣).

وأنزل الله تعالى شرائع وأحكام الإنجيل نورا وهدى ورحمة كما قال تعالى في سورة مريم:{ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً(١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً(٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً}(٢١)، ولقوله تعالى في سورة المائدة:{ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}(٤٦).

وأنزل الله تعالى شرائع وأحكام القرآن هدىً ونورا وشفاءً ورحمة للناس لقوله تعالى في سورة النساء:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً(١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً}(١٧٥)، ولقوله تعالى في سورة يونس:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}(٥٧)، ولقوله تعالى في سورة الإسراء:{ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً}(٨٢)، ولقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}(١٠٧)، وبيّن تعالى أن الاستسلام التام لشرعه تعالى هو الاستمساك بالعروة الوثقى لقوله تعالى في سورة لقمان:{ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}(٢٢).

أمر أولي العزم من الرسل بإقامة الدين

لإسعاد الناس وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض أمر الله تعالى أولي العزم من الرسل بإقامة الدين في قوله في سورة الشورى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}(١٣).

أمر أهل الكتاب بإقامة الدين

لإسعاد الناس وإقامة المجتمع الأمثل أمر الله تعالى أهل الكتاب بإقامة أحكام التوراة والإنجيل في زمنهم، وبيّن تعالى أنه من أعرض فهو من الكافرين والظالمين والفاسقين لقوله تعالى في سورة المائدة:{ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ(٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(٤٥)، وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ(٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}(٤٧).

وصايا الأنبياء – عليهم السلام–

لأجل إسعاد الناس بإقامة المجتمع الأمثل في الدنيا وصّى الأنبياء أبنائهم ومن تبعهم بإقامة الدين في الأرض، وأن لا يموتوا إلا وهم مسلمون كما قال تعالى في سورة البقرة:{ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}(١٣٢).

أمر أهل الكتاب بأخذ الدين بقوة

لإسعاد الناس وإقامة المجتمع الأمثل للناس في الأرض أمر الله تعالى أهل الكتاب بأخذ الدين بقوة وعدم التفريط في إقامة شرائعه تعالى وأحكامه لقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ}(٦٣)، ولقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ}(٩٣)، ولقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(١٧١)، ولقوله تعالى في سورة الأعراف:{ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ}(١٤٥)، ولقوله تعالى في سورة مريم:{ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً}(١٢)، لولا التحريف الذي طرأ على التوراة والإنجيل.

أمر الأنبياء والرسل بالإيمان بسيدنا محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- ونصره

لتوحيد أهل الأديان جميعا تحت راية واحدة لتيسر إقامة الدين والمجتمع الأمثل في الأرض أمر الله تعالى جميع الأنبياء بالإيمان بسيدنا محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- ونصره إذا بعث، وقد عرف أهل الكتاب موعد بعثته- صلى الله عليه وآله وسلم-، وانتقل اليهود إلى المدينة المنورة رجاء أن يكون الرسول منهم، وتبيّن ذلك أيضا من قصة إسلام سلمان الفارسي- رضي الله عنه-، وبيّن تعالى أنه من أعرض عن ذلك الميثاق فهو من الفاسقين كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ(٨١) فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}(٨٣).

لا يقبل تعالى دينا غير الإسلام

بيّن الله تعالى أنّ الدين الحق الذي دانت به كل الأنبياء والرسل هو الإسلام، أي الاستسلام التام لأوامر الله تعالى، ولذلك بيّن تعالى أنه لا يقبل دينا غير الإسلام كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ}(١٩)، وكما قال تعالى في سورة آل عمران:{ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(٨٥).

الأمر بإقامة أحكام الإسلام

ولأجل إسعاد الناس وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض أمر الله تعالى نبيه سيدنا محمد– صلى الله عليه وآله وسلم– بإقامة أحكام الإسلام في أهل الكتاب وفي الناس عامة، وحذّر تعالى نبيه– صلى الله عليه وآله وسلم– من أن يُفتن أو يُصد عن حكم واحد من أحكام الله تعالى كما قال في سورة المائدة:{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(٤٨) وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ(٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}(٥٠).

الأمر بالتوجه التام لشرائع الدين

لأهمية إقامة الدين في الأرض وإقامة المجتمع الأمثل لإسعاد الناس أمر الله تعالى بالانصراف عن كل تشريع غير تشريعه تعالى، والتوجه التّام لشرائع دينه تعالى، وبيّن تعالى أنه لا يوجد أفضل ممن يستسلم لشرائع الله تعالى لقوله تعالى في سورة النساء:{ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً}(١٢٥)، ولقوله تعالى في سورة يونس:{ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(١٠٥)، وبيّن تعالى أنّ الناس فطروا وخلقوا لقبول دين الله تعالى لقوله تعالى في سورة الروم:{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ(٣٠)، ولقوله تعالى في سورة الروم:{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ}(٤٣).

الأمر بجعل الدين كله لله

لأجل إسعاد الناس في الأرض والوصول إلى المجتمع الأمثل الذي يريده تعالى لهم أمر الله تعالى المسلمين بأن يبذلوا كل جهودهم لجعل الأحكام التي يحتكم إليها البشر في

الأرض مطابقة للأحكام التي أنزلها تعالى، ويكون الدين كله لله تعالى، عقيدةً وعبادةً وأخلاقا ومعاملات، وبيّن تعالى أنه شرّع القتال لأجل إقامة الدين في الأرض لقوله تعالى البقرة:{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ}(١٩٣)، ولقوله تعالى في سورة الأنفال:{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(٣٩)، ولقوله تعالى في سورة التوبة:{ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}(٢٩)، فيعطوا الجزية وتقام فيهم أحكام الإسلام.

الأمر بالاحتكام إلى شرع الله تعالى

بيّن تعالى أنه لا يتم إيمان أحد من الناس حتى يتم الاحتكام التام لشرعه تعالى في كل ما اختلف فيه لقوله تعالى في سورة النساء:{ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}(٦٥).

الأمر بإخلاص الدين لله تعالى والتفقه فيه

ولأهمية إقامة الدين في الأرض لإقامة المجتمع الأمثل وإسعاد الناس أمر تعالى بإخلاص الدين له تعالى كما قال في سورة الزمر:{ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ(١١) وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ(١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي(١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}(١٥)، ولقوله تعالى في سورة غافر:{ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}(١٤)، ولقوله تعالى في سورة غافر:{ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(٦٥)، ولذلك أمر تعالى بالتفقه في الدين لإقامة أحكامه تعالى كما قال تعالى في سورة التوبة:{ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}(١٢٢).

الأمر بعدم تقديم أي مصلحة على مصلحة الدين

لأهمية إقامة الدين في الأرض لإقامة المجتمع الأمثل وإسعاد الناس أمر تعالى المؤمنين بتقديم مصلحة إقامة الدين في الأرض على أي مصلحة أخرى، وخذّر تعالى من اتخاذ الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن أحب من الله تعالى فقال تعالى في سورة التوبة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}(٢٤)، فيجب أن لا تقدم أي مصلحة كانت على مصلحة إقامة الدين في الأرض، ولذلك هبّ المسلمون الأوائل لإيصال هذا الدين لكل الناس، وتمسك الناس على مر الزمان بالإسلام لما وجدوه من سعادة عيشهم بالدين ولم ينفكوا عنه بعد أُفول دولة الإسلام.

الأمر بعدم تقديم أي حكم على أحكامه تعالى

لأهمية إقامة الدين في إسعاد الناس وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض أمر تعالى المؤمنين بعدم تقديم أي حكم أو تشريع على حكمه- تعالى ورسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- لقوله تعالى في سورة الحجرات{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ}(٢).

الأمر بترك من يتخذ الدين لعبا وهزوا

لأجل استدامة إسعاد الناس أمر تعالى المؤمنين بترك من يتخذ الدين لعباً ولهواً كما قال في سورة الأنعام:{ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ(تعاقب في الدنيا والآخرة) بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ(عوقبوا بأن لا يؤمنوا) بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ}(٧٠).

الارتداد عن الدين يحبط العمل

حيث أنّ إقامة الدين هو السبيل لإسعاد الناس في الأرض لإقامة المجتمع الأمثل بيّن تعالى أنّ الارتداد عن الدين يحبط العمل في الدنيا والآخرة في قوله تعالى في سورة البقرة:{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(٢١٧).

سنن الاستبدال

من أهمية إقامة الدين لإسعاد الناس بيّن تعالى أنه سنّ سنّة الاستبدال في الأرض إذا تقاعس المسلمين عن إقامة الدين فقال تعالى في سورة المائدة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(٥٤)، ولقوله تعالى في سورة محمد:{ هَا أَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}(٣٨)، ولقوله تعالى في سورة التوبة { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ(٣٨)، إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(٣٩).

خلاصة المبحث الثاني

إقامة الدين في الأرض ضرورة لإسعاد الناس وإقامة المجتمع الأمثل من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات وشرائع وأحكام في النفس وفي الآخرين، وذلك بإطاعة الله تعالى ورسوله– صلى الله عليه وآله وسلم– في كل ما أُمرا والانتهاء عن كل ما نهيا عنه، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، أمّا المفرطون فلا يلوموا إلا أنفسهم.

المبحث الثالث: سبل الترقي في المحبة والسعادة الإلهية

يترقى الإنسان في المحبة والسعادة الإلهية بالترقي في إقامة الدين في النفس والآخرين في الأرض بالترقي في الإيمان والعبادات وفعل الخير وإقامة العدل والنهي عن الظلم والفساد، وفي الترقي في الأخلاق، وفي العلاقة الأسرية والاجتماعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجمع كلمة المسلمين، وإعداد ما يستطاع من قوة على مستوى الأفراد في العلم وحسن تدبير المال وكل ما من شأنه إعلاء الأمة ورفع مكانتها، ودعوة الناس إلى الإسلام.

١- الترقي في الإيمان

الترقي في درجات الإيمان من إقامة الدين لإقامة المجتمع الأمثل في الأرض وتوطيد العلاقات الاجتماعية، والترقي في مراقبة الله تعالى، وتزكية النفس وإصلاحها وتعميق التقوى وإخلاص العمل لله تعالى، ورفع درجة الإحسان في الأعمال المشروعة، والرقي بالفرد في المحبة والسعادة الإلهية في الدنيا قبل الآخرة وذلك:-

أ - الإيمان بوحدانية الله تعالى

الترقي في الإيمان بوحدانية الله تعالى من إقامة الدين في النفس والأرض وإقامة المجتمع الأمثل والرقي في المحبة والسعادة الإلهية، ولذلك دحض تعالى كل ما ادعته البشرية من الشركاء على مر العصور، فبيّن تعالى أنه ليس له ولد ولا زوجة كما قال في سورة الأنعام:{ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(١٠١)، وبيّن تعالى أن لو كانت هناك آلهة أخرى كما يدعون لتنازعت تلك الآلهة لاعتلاء العرش كما قال تعالى في سورة الإسراء:{ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً}(٤٢)، ولنفرد كل إله بما خلق، ولعلى واستكبر بعضهم على بعض كما قال تعالى في سورة المؤمنون:{ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}(٩١).

ب – الإيمان بالله تعالى خالق كل شيء

الترقي في الإيمان بأنّ الله تعالى خالق كل شيء من إقامة الدين في النفس ويرقى بالمحبة والسعادة الإلهية، ولذا عرّف تعالى نفسه بنفسه فقال في سورة البقرة:{ اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَـيُّ الْقَيُّومُ(على شؤون خلقه) لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّـهُ مَا فِـي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِـي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِـهِ إِلاَّ بِمَـا شَـاء وَسِـعَ كُرْسِـيُّهُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَـؤُودُهُ حِفْظُهُمَـا وَهُـوَ الْعَلِـيُّ الْعَظِـيمُ}(٢٥٥)، فهو تعالى الذي أعطى كل شيء في الوجود خَلْقَه أي شكله وحجمه وخواصه الكيميائية والفيزيائية لقوله تعالى في سورة طه على لسان موسى– عليه السلام–:{ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}(٥٠)، ولقوله تعالى في سورة البقرة:{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَـا أَنـزَلَ اللّهُ مِـنَ السَّمَاءِ مِـن مَّـاء فَأَحْيَـا بِـهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَـا وَبَـثَّ فِيهَـا مِـن كُـلِّ دَآبَّـةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}(١٦٤).

وهو تعالى الذي خلق الإنسان أطوارا كما قال تعالى في سورة المؤمنون:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ(١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ(١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَـا الْعَلَقَـةَ مُضْـغَةً فَخَلَقْنَـا الْمُضْـغَةَ عِظَامـاً فَكَسَـوْنَا الْعِظَـامَ لَحْمـاً ثُـمَّ أَنشَـأْنَاهُ خَلْقـاً آخَـرَ فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}(١٤)، وهو تعالى الذي خلق الإنسان من اختلاط ماء الرجل وبويضة المرأة كما قال تعالى في سورة الإنسان:{ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً}(٢)، وهو تعالى الذي يصور الإنسان في رحم أمّه كيف يشاء كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(٦).

وخلق تعالى الشمس والقمر لمصلحة الخلق كما قال تعالى في سورة يونس:{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}(٥)، وخلق تعالى النجوم ليهتدي الناس بها في ظلمات البر والبحر كما قال في سورة الأنعام:{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}(٩٧)، وخلق تعالى البحر لمصلحة الناس كما قال في سورة النحل:{ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(١٤).

وهو تعالى يسوق السحاب بالرياح لينزل به المطر وينبت به نبات كل شيء كما قال تعالى في سورة الأعراف:{ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(٥٧)، ولقوله تعالى في سورة الأنعام:{ وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ(إذا نضج وطاب) إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(٩٩)، وخلق تعالى كل شيء في الوجود لمصلحة الناس.

جـ – الإيمان بأنّ الله تعالى مطلع على كل شيء

الترقي في الإيمان وأنّه تعالى مطلع على كل شيء من إقامة الدين، ويرقى بمراقبة الله تعالى، وبالتقوى وعمل المعروف، ويحفز على ترك المعاصي، فله تعالى علم الغيب وما يدور في البر والبحر، بل إن كل شيء يدور في الأرض أو السماوات مدوَّن عنده في كتاب كما قال تعالى في سورة الأنعام:{ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}(٥٩)، ولقوله تعالى في سورة يونس:{ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ(لا يغيب) عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}(٦١)، ويعلم تعالى ما في الصدور والسرَّ وأخفى كما قال تعالى في سورة آل عمران:{ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(٢٩)، ولقوله تعالى في سورة طه:{ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}(٧).

د – الإيمان بالاستقلالية الشخصية للفرد

الإيمان بالاستقلالية الشخصية للفرد من إقامة الدين يوقظ القلب ويرقى بمراقبة الله تعالى، وفعل الخير وترك الشر، ولذا بيّن تعالى أنه لا يتحمل أحد ذنوب غيره مهما بلغت قرابته لقوله تعالى في سورة الأنعام:{ قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ

كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}(١٦٤)، ولقوله تعالى في سورة فاطر:{ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}(١٨)، بل ولا تتحمل أمة ذنوب غيرها لقوله تعالى في سورة البقرة:{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(١٣٤)، ولقوله تعالى في سورة عبس:{ إِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ(٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ(٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ(٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ(٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}(٣٧).

هـ – الإيمان أنّ الجزاء في الدنيا قبل الآخرة

الإيمان بأنّ الجزاء في الدنيا قبل الآخرة يوقد الذهن، ويحفز الحذر من المعاصي، ويرقى بمراقبة الله تعالى، وزيادة التقوى وإخلاص العمل لله تعالى، ويحث على فعل المعروف وترك المنكر، ولذا بيّن تعالى أنّ الجزاء على الأعمال في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة إبراهيم:{ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ}(٢٧)، ولقوله تعالى في سورة النساء:{ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً بَصِيراً}(١٣٤)، ولقوله تعالى في سورة يونس:{ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢) الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ(٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(٦٤)، ولقوله تعالى في سورة فصلت:{ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ}(٣١).

ويعذّب تعالى الكافرين في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ}(٥٦)، ولقوله تعالى في سورة التوبة:{ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}(٥٥)، ولقوله تعالى في سورة النور:{ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(٢٣).

و – الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر ينهض بمراقبة الله تعالى، ويزيد التقوى والخشية وإخلاص العمل، وفعل الخير والمعروف وترك الشر والمنكر، ولذا بيّن تعالى أنه لم يخلق الحياة الدنيا عبثا كما قال تعالى في سورة المؤمنون:{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ(١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}(١١٦)، ولقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}(٢٨١)، ولقوله تعالى في سورة الأنبياء:{ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}(٤٧).

ز – الإيمان بفتح أبواب التوبة والمغفرة

الإيمان بفتح باب التوبة والمغفرة يبعث الأمل، ويدخل السرور على القلوب، ويعين على التوبة والرجوع إلى الله تعالى والاستغفار، ويطفئ ألم المعاصي وهمّها، ويحث على فعل المعروف وترك المعاصي، ولذلك لم يُقنِّط تعالى المسرفين على أنفسهم في المعاصي من توبته ومغفرته فقال تعالى في سورة الزمر:{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}(٥٣)، وبيّن– صلى الله عليه وآله وسلم– أنّ الله تعالى يفرح عظيم الفرح بتوبة العبد لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أنس بن مالك– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– :{ لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربُّك، أخطأ من شدة الفرح}.

حـ – الإيمان بمضاعفة الحسنات وتبديل السيئات

الإيمان بمضاعفة الحسنات وتبديل السيئات إلى حسنات يحث على المبادرة في فعل الخير والترقي فيه، وداعيا للعزوف عن المعاصي، ولذلك صرّح تعالى بمضاعفة الحسنات في قوله تعالى في سورة البقرة:{ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ}(٢٦١)، وصرّح تعالى بتبديل السيئات في سورة الفرقان فقال:{ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً(٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً(٦٩) إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً}(٧٠)، ولما ورد في صحيح الإمام مسلم عن أبي ذر الغفاري– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: يقول الله:{ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرَّب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرَّب منى ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة}.

٢ – الترقي في العبادات

الترقي في العبادات بالنوافل من الإحسان وهو نافذة للترقي في محبته تعالى وسعادته، ولحصول العبد على ما يسأل وإجابة الدعاء فيعيذه مما يستعاذ منه لما ورد في سنن الإمام البيهقي في الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ– رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ:{ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا زَالَ– العبد– يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي عَلَيْهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ}، ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أنس– رضي الله عنه– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– يرويه عن ربه قال:{ إذا تقرب العبد إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وإذا أتاني مشيا أتيته هرولة}.

٣ – التمسك بمبادئ الإسلام

الترقي بالتمسك بمبادئ الإسلام العامة من إقامة الدين في النفس والأرض وإقامة المجتمع الأمثل وتوطيد العلاقات الاجتماعية يرقى بالمحبة والسعادة الإلهية، كفعل الخير، وإقامة العدل، وترك الظلم والفساد، والإصلاح بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، والعمل على جمع كلمة المسلمين ونبذ التفرق والاختلاف، وإعداد كل ما يستطاع من قوة، ودعوة الناس لدين الله تعالى.

أ – فعل الخير

الترقي في فعل الخير من إقامة الدين في النفس والأرض وخطوة نحو إقامة المجتمع الأمثل يرقى بالمحبة والسعادة الإلهية لقوله في سورة القصص:{ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(٨٤)، ولقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(١٠٤)، ولقوله تعالى في سورة البقرة:{ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(١٤٨).

ب – إقامة العدل

الترقي في إقامة العدل في الناس من إقامة الدين في النفس والأرض وخطوة نحو إقامة المجتمع الأمثل والترقي في المحبة والسعادة الإلهية لقوله تعالى في سورة النحل:{ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(٩٠)، ولقوله تعالى في سورة النساء:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}(١٣٥)، ولقوله تعالى في سورة المائدة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}(٨).

جـ – النهي عن الظلم

النهي عن الظلم من إقامة الدين في النفس والأرض وخطوة لإقامة المجتمع الأمثل والرقي في المحبة والسعادة الإلهية لقوله تعالى في سورة يونس:{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن

قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ}(١٣)، ولقوله تعالى في سورة الكهف:{ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً}(٥٩)، ولقوله تعالى في سورة هود:{ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ}(١١٣)، ولقوله تعالى في سورة الشورى:{ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ}(٤٢)، ولما جاء في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر– رضي الله عنهما– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال:{ الظلم ظلمات يوم القيامة}، ولما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أنس– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–:{ انصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوما أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره}، وبيّن– صلى الله عليه وآله وسلم– أنّ العصبية هي الإعانة على الظلم لما ورد في سنن أبي داود عن بنت واثلة بن الأسقع أنها سمعت أباها يقول قلت يا رسول الله: ما العصبية؟ قال:{ أن تعين قومك على الظلم}، وبيّن أن للمظلوم دعوة لا ترد كما جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي عبد الله الأسدي– رضي الله عنه– قال: سمعت أنس بن مالك– رضي الله عنه– يقول: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم:{ اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب}، وحضّ تعالى على التوبة من الظلم فقال في سورة التوبة:{ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(٣٩).

د – النهي عن الفساد

النهي عن الفساد من إقامة الدين في النفس والأرض وخطوة لإقامة المجتمع الأمثل والرقي في المحبة والسعادة الإلهية، ولذا حذّر تعالى منه فقال في سورة البقرة:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ(٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ(٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}(٢٠٦)، ولقوله تعالى في سورة الرعد:{ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}(٢٥)، ولقوله تعالى في سورة المائدة:{ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ

الْمُحْسِنِينَ}(٥٦)، ولقوله تعالى في سورة الأعراف:{ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(٣٣).

هـ - الإصلاح بين الناس

الإصلاح بين الناس من إقامة الدين في النفس والأرض وخطوة نحو إقامة المجتمع الأمثل وللرقي في المحبة والسعادة الإلهية في الدنيا، ولذلك حضّ تعالى على الإصلاح بين الناس فقال تعالى في سورة النساء:{ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتَغَآءَ مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً}(١١٤)، ولقوله سبحانه في سورة الأنفال:{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنفَالُ للّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}(١)، كما أمر تعالى بالإصلاح بين الناس عند الاقتتال فقال جل شأنه في سورة الحجرات:{ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(١٠).

وكان الإصلاح بين الناس من أولوياته- صلى الله عليه وسلم- وأن أدّى إلى تأخره عن حضور الجماعة لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن سَهلِ بنِ سَعدٍ- رضيَ اللهُ عنه- قال: بَلغَ رسولَ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- أنَّ بني عمرِو بن عوفٍ بقُباءٍ كان بينَهم شيءٌ، فخَرَجَ يُصلحُ بينَهم في أناسٍ مِن أصحابِه، فحُبسَ رسولُ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- وحانَتِ الصلاة، فجاءَ بلال إلى أبي بكر- رضي اللهُ عنهما- فقال: يا أبا بكرٍ، إنَّ رسولَ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- قد حُبِسَ وقد حانَتِ الصلاةُ، فهل لكَ أنْ تؤُمَّ الناسَ؟ قال: نعم إن شئتَ، فأقام بلالٌ الصلاةَ وتقدَّمَ أبو بكرٍ- رضيَ اللهُ عنه- فكبَّرَ للناس، وجاءَ رسولُ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- يمشِي في الصُّفوفِ يَشُقُّها شَقّاً حتى قام في الصَّفِّ، فأخذَ الناسُ في التصفيحِ قال وكان أبو بكرٍ- رضيَ اللهُ عنهُ- لا يلتَفِتُ في صلاتِه، فلمَّا أكثَر الناسُ التفتَ، فإذا رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم-، فأشارَ إليهِ يأمرهُ أن يُصلِّيَ، فرَفَع أبو بكرٍ- رضيَ اللهُ عنهُ- يدَهُ فحمِدَ اللهَ، ثمَّ رَجِع القَهْقَرَى وراءهُ حتى قامَ في الصفّ، وتقدَّمَ رسولُ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- فصلَّى للناسِ، فلمَّا فَرَغ أقبلَ على الناسِ فقال: يا أيُّها

الناسُ، مالكم حينَ نابَكم شيءٌ في الصلاةِ أخَذتُم بالتَّصفيح، إنما التصفيحُ للنساءِ، ومن نابَهُ شيءٌ في صلاتِه فلْيَقُلْ سُبحانَ اللهِ، ثمَّ التَفَتَ إلى أبي بكرٍ- رضيَ اللهُ عنه- فقال: يا أبا بكرٍ، ما مَنعك أنْ تُصَلِّيَ للناسِ حِينَ أشرتُ إليك؟ قال أبو بكرٍ: ما كانَ يَنبغي لابنِ أبي قُحافةَ أن يُصلي بينَ يدَيْ رسولِ اللهِ- صلى الله عليه وسلم-}.

ورغم أنّ الكذب لا يباح في الدين لكنه يباح للإصلاح بين الناس لما ورد في صحيح الأمام البخاري عن أمَّ كُلثومٍ بنتَ عُقبةَ- رضي الله عنها- أخبرَتْهُ أنها سمعتْ رسولَ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- يقولُ:{ ليسَ الكذّابُ الذي يُصلِح بينَ الناسِ فيَنْمي خَيراً أو يقولُ خَيراً}، ولما جاء في سنن الإمام أبي داود عن أبي الدرداء- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال:{ ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى، قال: صلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة، وقال: لا تحلق الشعر بل تحلق الدِّين}.

و - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الدين وخطوة لإقامة المجتمع الأمثل في الأرض والرقي في المحبة والسعادة الإلهية، وهو واجب كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية كخير أمة أخرجت للناس لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ}(١١٠)، ولقوله تعالى في سورة التوبة:{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(٧١)، ولقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ}(١٠٤)، ولما جاء في شعب الإيمان عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال:{ مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه كله}.

وقد حذّر الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحديث الذي ورد في مسند الإمام أحمد عن عدي بن عميرة- رضي الله

عنه- قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول:{ إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة}، وكما بيّن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- أنّ كل فرد مسؤول عن سلامة المجتمع في الحديث الذي ورد في صحيح الإمام البخاري عن النّعمانَ بنَ بَشيرٍ- رضيَ اللهُ عنهما- عنِ النّبيّ- صلى الله عليه وسلم- قال:{ مَثَلُ القائمِ على حُدودِ اللهِ والواقعِ فيها كمَثَلِ قومٍ استَهَموا على سَفِينةٍ فأصابَ بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلَها، فكان الذين في أسفلِها إذا استَقوا مِنَ الماءِ مَرّوا على مَن فَوقَهُم، فقالوا: لو أنّا خَرَقْنا في نَصيبنا خَرقاً ولم نُؤْذِ مَن فَوقَنا، فإن يَترُكوهم وما أرادوا هَلَكوا جميعاً، وإن أخَذوا على أيديهم نَجَوا ونجوا جميعاً}، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يترتب عليه عقوبات كثيرة متنوعة، منها حلول اللعنة والطرد من رحمته سبحانه لقوله تعالى في سورة المائدة:{ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ(٧٨) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ}(٧٩)، ومن العقوبات ما جاء في مسند الإمام أحمد عن حذيفة- رضي الله عنه-: أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال:{ والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليبعثن عليكم قوما، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم}، ولما جاء في صحيح الإمام البخاري عن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمانِ- رضي الله عنه-: عن النبيّ- صلى الله عليه وآله وسلم- قال:{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ ولَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ فَتَدْعُونَهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ}.

ز - العمل على جمع كلمة المسلمين

العمل على جمع كلمة المسلمين ونبذ التفرق والاختلاف من الدين ودرجة لإقامة المجتمع الأمثل في الأرض والرقي في المحبة والسعادة الإلهية، ولذ أمر تعالى به كما قال جل وعلا في سورة آل عمران:{ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(١٠٣)، ولقوله سبحانه في سورة النحل:{ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ}(٩٢)، ولقوله تعالى في سورة الأنفال:{ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}(٤٦)، والتفرُّق والاختلاف من الكبائر لتغليظ العقوبة فيه لقوله تعالى في سورة آل عمران:{ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(١٠٥)، وقد برَّء تعالى رسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- ممن تفرقوا في الدين في قوله تعالى في سورة الأنعام:{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ}(١٥٩).

ومن أسباب التفرق والاختلاف بغي بعض العلماء على غيرهم لقوله تعالى في سورة البقرة:{ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(٢١٣)، ولقوله تعالى في سورة الجاثية:{ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ(١٦) وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنْ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}(١٧)، ولقوله تعالى في سورة آل عمران:{ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَات الله فَإِنَّ الله سَرِيعُ الحِسَابِ}(١٩)، ولقوله تعالى في سورة الشورى:{ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ}(١٤).

فعلى كل مسلم الحذر من اتباع الباغون على غيرهم من المسلمين وعدم السماع لهم لما له من تفكك الأمة وبث الفرقة بينها، وعلى العلماء الحذر من ذلك فذنوبهم ليست كذنوب عامة الناس فهم يحملون أوزارهم وأوزار من تبعهم إلى يوم القيامة.

ولجمع كلمة الأمة من الأولى الاجماع على أئمة القرون الثلاثة الأول لما جاء في القرآن والسنة النبوية، فأتباع الأنبياء والرسل على مر الزمان ينقسمون إلى ثلاث طوائف، السابقون وأصحاب اليمين وأصحاب المشئمة لقوله سبحانه في سورة الواقعة:{ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ(١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ(٣) إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً(٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً(٥) فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً(٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً(٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ

الْمَيْمَنَةِ(٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ(٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ(١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ(١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ(١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ(١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ}(١٤)، فالسابقون بالإيمان بالرسل من كل دين هم المقربون عند الله تعالى، والثلة هم الجماعة الكثيرة من الناس، أمّا أصحاب اليمين فهم ثلة من الأولين وثلة من الآخرين.

وبيّن رسول الله– صلى الله عليه وآله وسلم– أنّ خير هذه الأمة هم القرون الثلاثة الأول لما ورد في مختصر الإمام البخاري عن عمران بن حصين– رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–:{ خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم}، قال عمران:(فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا)، ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن}.

أما القرن الأول من هذه الأمّة فهو قرن رسول الله– صلى الله عليه وآله وسلم– وأصحابه، والقرن الثاني هم التابعون، ومنهم الأئمة الأربعة وهم الإمام أبي حنيفة، والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد، أما القرن الثالث فهم تابع التابعين ومنهم أئمة الحديث الذي جاءوا من بعدهم كالإمام البخاري والإمام أبي داوود والإمام مسلم وغيرهم، ولئن يلقى المسلم ربه مقلدا لتلك القرون الذين شملتهم تزكية الله تعالى ورسوله– صلى الله عليه وآله وسلم– خير من أن يلقاه مقلدا لغيرهم.

ومن المهم الإشارة إلى أنّ أئمة الحديث والذين هم من القرن الثالث كالإمام البخاري والإمام مسلم وغيرهم لم تكن لهم مذاهب فقهية خاصة بهم رغم مكانتهم العالية في جمع الحديث، ولكن كانوا مقلدين لأئمة الفقه الذين سبقوهم، وللفائدة تم جدولة أهم رجالات القرن الثاني والثالث كما هو مبين أدناه.

أهم رجالات القرن الثاني والثالث

	الإمام	الاسم	الميلاد (هجري)	الوفاة (هجري)
		أهم رجالات القرن الثاني		
١	أبو حنيفة	النعمان بن ثابت التَّيْمِي	٨٠	١٥٠
٢	مالك بن أنس	مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكِ بنِ أبي عَامِرِ بنِ عَمْرِو	٩٤	١٧٩
٣	الشَّافعيّ	مُحَمَّدُ بنُ إدْرِيْسَ بنِ العَبَّاسِ بنِ عُثْمَانَ بنِ شَافِعِ	١٥٠	٢٠٤
٤	أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل	أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَل بنِ هِلالٍ بنِ أَسَد الشَّيْبَانِي	١٦٤	٢٤١
		أهم رجالات القرن الثالث		
٥	البُخاري	مُحَمَّدُ بنُ إسْمَاعِيْلَ بنِ إبْرَاهِيْمَ بنِ المُغِيْرَةَ	١٩٤	٢٥٦
٦	أبو داود	سُلَيْمَانُ بنُ الأشْعَثِ بنِ شَدَّادَ بنِ عَمْرِو بنِ عَامِر	٢٠٢	٢٧٥
٧	مُسْلِمُ	مُسْلِمُ بنُ الحَجَّاجِ بنِ مُسْلِم القُشَيْرِي	٢٠٤	٢٦١
٨	ابن مَاجَة	مُحَمَّدُ بنُ يَزيد الرَّبَعِي القَزْوِينيُّ	٢٠٩	٢٧٣
٩	النسائي	أحمدُ بنُ شُعَيْبِ بنِ عَلِيَ بنِ سِنَانٍ بنِ بَحْرٍ بنِ دِيْنَار	٢١٥	٣٠٣

٤- إعداد كل ما يستطاع من قوة على مستوى الأفراد

إعداد كل ما يستطاع من قوة على مستوى الأفراد من الدين وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض وللرقي في المحبة والسعادة الإلهية، كلٌ في تخصصه وبحدود مسؤوليته وواجباته، وذلك بتسخير كل ما يمكن من علوم وأموال وغيرها لصالح إقامة الدين في الأرض.

أ - العلم

والعلم هو أساس كل قوة يمكن إعدادها في كل مجالات الحياة، وتقوم عليه الحضارة الإنسانية اليوم، ولا يمكن احتكاره عند بذل الجهد في تحصيله، وهو هبة من الله تعالى لقوله تعالى في سورة البقرة:{ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء}، وقد منح تعالى شيء من العلوم لمن لا يحب حجة عليه، ومن سننه تعالى أن يهب العلم لمن يحب إن هم أخذوا بزمام العلم فيفتح لهم مصاريع علمه ليعزهم في الدنيا ويعلي شأنهم لإقامة دينه تعالى.

وقد بيّن تعالى سعة ما أودعه من علم في خلقه وأسرار فقال تعالى في سورة الكهف:{ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً}(١٠٩)، وقال تعالى في سورة لقمان:{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(٢٧)، وبيّن تعالى أنّ ما يعلمه الناس من ذلك قليل جدا فقال تعالى في سورة الإسراء:{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً}(٨٥)، فلا يعلم الإنسان شيء عن الروح الموجودة في الإنسان والحيوان والأشجار، فعلى المسلمين التوجه للعلم في كل ما ينفع الناس والدين، فما أودعه تعالى من علوم ليس له حد، فهذه الحضارة قائمة على شيء من العلوم، فإذا منح تعالى هذه العلوم لمن لا يحب فهو تعالى يمنحه لمن يحب من الناس، وهو المؤمنون الصادقون المخلصون.

ب – الموالاة

الموالاة من إقامة الدين في الأرض وخطوة نحو إقامة المجتمع الأمثل وللرقي في المحبة والسعادة الإلهية، وهي بذل النصرة والمحبة للمؤمنين، وذلك تسخير كل ما يمكن لصالح الدين، وقد نبَّه تعالى نبيه– صلى الله عليه وآله وسلم– على مولاة المؤمنين فقال في سورة الأنفال:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}(٦٤)، ونبه المسلمين على مولاة المؤمنين فقال تعالى في سورة المائدة:{ إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}(٥٥)، وحذر تعالى من موالاة الكفار فقال في سورة آل عمران:{ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ}(٢٨)، ونهى تعالى عن موالاة اليهود والنصارى فقال تعالى في سورة المائدة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(٥١)، ونهى تعالى عن اتخاذ أعداء الدين أولياء فقال في سورة الممتحنة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ}(١).

أمّا الكفار فينقسمون قسمين، قسم يجب برّهم والعدل إليهم لقوله تعالى في سورة الممتحنة:{ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(٨)، وأمّا القسم الثاني فلا يجوز موالاتهم وهم الذين قال تعالى فيهم في سورة الممتحنة{ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(٩).

جـ – المال

المال عصب الحياة، ويجب توجيهه لصالح إقامة الدين في الأرض والمجتمع الأمثل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية لقوله تعالى في سورة البقرة:{ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ

لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(٢٦١)، ولقوله تعالى في سورة محمد:{ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}(٣٨).

د – أمور أخرى

إنّ عناصر إعداد القوة كثيرة وليست الغاية حصرها، ولكن تم الإشارة إلى بعض منها لإقامة الدِّين في الأرض والمجتمع الأمثل، وهي سبيل للرقي في المحبة والسعادة الإلهية، والأصل تفعيل كل أمر مشروع يؤدي إلى تقوية هذه الأمة وإعلاء شأنها على مستوى الأفراد.

٥- الرقي بالأخلاق

الرقي بالأخلاق من الدين وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض الذي ينشده تعالى للناس، وسبيل للرقي في المحبة والسعادة الإلهية وتوطيد العلاقات الاجتماعية، فالأخلاق الحسنة صفات الإلهية تحلى بها الرسل ودعا الأنبياء الناس إليها، وعطاء من الله تعالى يكتسب بالتعلم والممارسة، والرقي بالأخلاق ضرورة اجتماعية، وهي الصورة التي يُعرف بها الفرد والأسرة والمجتمع ولذلك جعل الإسلام حسن الخلق من الدين، والأخلاق من أهم الأبواب للترقي في المحبة والسعادة الإلهية.

ومن الأخلاق التي دعا إليها الإسلام لتزكية النفس الإحسان والصدق والصبر والعفو والحلم والأناة، والرفق والتواضع، والاعتدال في القول مع العصاة، وملاطفة الناس ورفع قدرهم، ولين الجانب والحياء، وغض البصر، ونهى الإسلام عن كل سوء خُلق كالكذب وسوء الظن والغضب والتكبر والقذف والمجاهرة بالمعصية، والهجران وقول الزور، والتجسس والهمز واللمز، والسخرية والغيبة والنميمة أو أن يكون الإنسان ذو وجهين، فكل خُلق أمر الإسلام به أو نهى عنه يعمل على الرقي بالمحبة والسعادة الإلهية.

ولذلك أمر تعالى المؤمنين بالتأسّي برسول الله– صلى الله عليه وآله سلم– كونه أحسن الناس خلقا فقال تعالى في سورة الأحزاب:{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}(٢١)، وحضّ سول الله– صلى الله عليه

وآله وسلم- على حسن الخلق لما ورد في مستدرك الإمام الحاكم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-:{ إِنَّكُمْ لا تَسَعونَ النّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلِيَسَعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ}، ولما ورد في صحيح الإمام مسلم عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الأَنْصَارِيِّ- رضي الله عنه- قَالَ:{ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ فَقَالَ: الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ}، ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبدِ اللهِ بن عمرو- رضيَ اللهُ عنهما- قال: لم يَكنِ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فاحِشاً ولا مُتفحِّشاً، وكان يقول:{ إنَّ من خياركم أحسنَكم أخلاقاً}، ولما ورد في مسند الإمام أحمد عن معاذ بن جبل- رضي الله عنه- أنه قال:{ يا رسول الله أوصني قال: اتق الله حيثما كنت أو أينما كنت قال: زدني قال: اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال: خالق الناس بخلق حسن}.

وبيّن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- أنّ لحسن الخُلق المنزلة الرفيعة في الجنة لما ورد في سنن الإمام أبي داود عن أَبي أُمَامَةَ- رضي الله عنه- قالَ: قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:{ أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ في رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقاً، وَبِبَيْتٍ في وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كان مَازِحاً، وَبِبَيْتٍ في أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ}، ولما ورد صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنه- أنه قال: إن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- قال في مجلس خُف:{ ألا أحدثكم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، ثلاث مرات يقولها، قال: قلنا: بلى يا رسول الله قال: فقال: أحسنكم أخلاقاً}، ولما ورد في سنن الإمام الترمذي عن أَبي الدَّرْدَاءِ- رضي الله عنه- أَنَّ النَّبي- صلى الله عليه وسلم- قالَ:{ مَا شيْءٌ أَثْقَلُ في مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَن، فَإِنَّ الله تعالى ليُبْغِضُ الفاحِشَ البَذِيءَ}، فبالأخلاق الحسنة قبل الناس الإسلام.

ولما حسن الخُلق من مكانة في الإسلام كان رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يدعو في صلاته بحسن الخُلق لما ورد في سنن الإمام النسائي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وآله وسلم- إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلاَةَ كَبَّرَ ثُمَّ قَالَ:{ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَعْمَالِ وَأَحْسنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ وَقِنِي سَيِّىءَ الأَعْمَالِ وَسَيِّىءَ الأَخْلاَقِ لاَ يَقِي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ}.

٦- الرقي بالعلاقات الأسرية والارحام

الرقي بالعلاقات الأسرية من الدين وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض وسبيل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية وتوطيد العلاقات الاجتماعية، فالأسرة هي اللبنة الأساسية في المجتمع بعد الفرد، ويكون ذلك عن طريق بر الوالدين، وتوطيد العلاقة الزوجية، والعناية بالأبناء، وصلة الأقارب.

أ - بر الوالدين

بر الوالدين من الدين وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض، وهو من أوسع الأبواب والسُبل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية، فبعد أن شرع تعالى أن لا يعبد إلاّ هو سبحانه أمر تعالى ببرّ الوالدان كما قال تعالى في سورة الإسراء:{ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيما}(٢٣)، وقد فرض تعالى تلك العلاقة على الأمم السابقة لأهميتها فقال تعالى في سورة البقرة:{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ}(٨٣)، وقد قدَّس تعالى العلاقة بالوالين وإن خالفا المسلم في عقيدته وأمر تعالى ببرهما وإن لم يكونا مسلمان، لقوله تعالى في سورة لقمان:{ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}(١٥).

وللأم عناية خاصة لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرةَ- رضيَ اللهُ عنه- قال:{ جاء رجلٌ إلى رسولِ الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسولَ الله مَن أحقُّ الناس بحُسْن صَحابتي؟ قال: أُمُّك. قال: ثمَّ مَن؟ قال: أمُّك. قال: ثمَّ مَن؟ قال: أمُّك. قال: ثم من؟ قال: ثمَّ أبوك}، ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن المغيرةِ بن شُعبةَ- رضي الله عنه- عن النبيِّ- صلى الله عليه وسلم- قال:{ إنَّ الله حرَّمَ عليكم عُقوقَ الأمهات، ومَنْعاً وهات، ووأْدَ البنات وكرِهَ لكم قيلَ وقال، وكثرةَ السؤال، وإضاعةَ المال}، وقد قدم تعالى العلاقة بالوالدين على الجهاد في سبيله تعالى لما جاء في صحيح الإمام البخاري عن عبْد الله بنِ عمْرو- رضي الله عنهما- قال: قال رجلٌ لِلنَّبيِّ- صلى الله عليه وسلم-: أجاهِدُ؟ قال:{ لكَ أَبَوانِ} قال: نعم، قال:{ ففيهما فجاهد}، ولما ورد في سنن الإمام أبو داود

عن عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو– رضي الله عنهما– قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله– صلى الله عليه وسلم– فقال: جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الهِجْرَةِ وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ، قال:{ ارْجِعْ فأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا}.

وحضَّ الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم–على صلة الأبوين وإن كانا على غير ملة الإسلام لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أسماءَ– رضي الله عنها– قالت: قدِمَتْ أمي وهي مشركةٌ، في عهد قريش ومدَّتهم إذ عاهدوا النبي– صلى الله عليه وسلم– معَ أبيها، فاستفتَيتُ النبيَّ– صلى الله عليه وسلم– فقلت: إن أمِّي قَدِمَت وهي راغبةٌ، قال:{ نعم، صِلي أُمَّك}.

ونهى الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم– عن التسبب في سبهما لما جاء في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمرو– رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–:{ إن من أكبرِ الكبائر أن يَلعنَ الرجلُ والِدَيه، قيل يا رسول الله، وكيف يَلعَنُ الرجل والِدَيه؟ قال: يسُبُ الرجلُ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسب أمَّه فيسب أمَّه}، وأمر الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم– ببرَّ الوالدين بعد موتهما وإكرام صديقهما لما ورد في سنن الإمام أبو داود عن أبي أسيد– رضي الله عنه– قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله– صلى الله عليه وسلم– إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبويّ شيء أبرّهما به بعد موتهما؟ قال:{ نَعَمْ، الصَّلاةُ عَلَيهِمَا، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لاَ تُوصَلُ إِلا بِهِمَا، وإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا}.

ب – توطيد العلاقة الزوجية

توطيد العلاقة الزوجيّة من الدين وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض وسبيل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية، وذلك بتقدير كل عمل حسن يقدمه الواحد للآخر، وغض النظر عن ما يشين، فقد جعل تعالى بين الأزواج مودة ورحمة فقال تعالى في سورة الروم:{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(٢١)، ولقوله تعالى في سورة النحل:{ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ}(٧٢)، وأمر تعالى الأزواج بالدعاء بأن يهب تعالى لهم من أزوجهم

وذرياتهم قرة أعين لقوله تعالى في سورة الفرقان:{ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}(٧٤).

وأمر الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم– ببذل الخير للزوجة لما جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وآله وسلم–:{ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيارهم خيارهم لنسائهم}، وأوجب النفقة على الأهل لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي مسعود الأنصاري– رضي الله عنه– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال:{ إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة}، وأمر بالبدء بالنفقة على الزوجة والأبناء لما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة– رضي الله عنه– أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قالَ:{ خير الصدقة ما كان على ظهر غنى وابدأ بمن تعول}، ولما جاء في مسند الإمام أحمد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده– رضي الله عنهم– عن رجل من بني قشير عن أبيه أنه سأل النبي– صلى الله عليه وآله وسلم– ما حق امرأتي عليَّ؟ قال:{ تطعمها إذا طعمت، و تكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تهجر إلا في البيت}، كما وحض على الوفاء للزوجة لما ورد في صحيح البخاري عن عائشةَ– رضي الله عنها– قالت:{ ما غِرتُ على امرأةٍ ما غرتُ على خَديجةَ– رضي الله عنها–، ولقد هَلكتْ قبلَ أن يتزوَّجني بثلاث سنين، لما كنتُ أسمعُهُ يَذكرُها. ولقد أمرَهُ ربُّه أن يُبشِّرها ببيتٍ في الجنَّة من قَصَب وإنْ كان ليَذبحُ الشاةَ ثمَّ يُهدِي في خُلَّتِها منها}.

جـ – العناية بالأبناء

العناية بالأبناء من الدين وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض وسبيل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية، وتبدأ العناية بالأبناء من سنّ التكليف بالترقي في فعل الطاعات وترك المعاصي للترقي في المحبّة والسعادة الإلهية، ثم اختيار المرأة لدينها ثم حسبها وجمالها، فإذا جاءت الأبناء فلا تبخل بالنصح لهم، وتعليمهم وإرشادهم لسنن الله تعالى في خلقه، فهم زينة الحياة الدنيا لقوله تعالى في سورة الكهف:{ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً}(٤٦)، وقد أمر الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم– بحسن معاملة الأبناء كتقبيلهم ومعانقتهم لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبا هريرة– رضي الله عنه– قال: قبَّل رسول الله– صلى الله عليه وسلم–

الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ثم قال:{ من لا يَرحم لا يُرحم}، بل كان سول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يعتني بهم حتى في الصلاة لما جاء في سنن الإمام النسائي عن عبد الله بن شداد عن أبيه- رضي الله عنهما- قال: خرج علينا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في إحدى صلاتي العشي(الظهر أو العصر) وهو حامل حسناً أو حسيناً فتقدَّم النبي- صلى الله عليه وسلم- فوضعه ثم كبَّر للصلاة فصلىّ، فسجد بين ظهري صلاته سجدة أطالها، قال: إني رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهو ساجد فرجعت في سجودي فلما قضى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهري الصلاة سجدة أطلتها حتى ظننّا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك، قال:{ كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته}، ولا بأس من حمل الأبناء الرُضع في الصلاة لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي قتادة الأنصاري- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها}.

د - صلة الأرحام

صلة الأرحام من الدين وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض وسبيل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية وتوطيد العلاقات الاجتماعية، فقد حثّ تعالى على صلة الأرحام فقال في سورة النور:{ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(٧٥)، ولقوله تعالى في سورة الأنفال:{ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُواْ إِلَى أَوْلِيَآئِكُمْ مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً}(٦)، وأمر تعالى بالإحسان إلى أولي الأرحام في قوله تعالى في سورة النساء:{ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً}(٣٦).

وبيّن تعالى أن الفرد مسؤول عن صلة أرحامه فقال في سورة النساء:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}(١)، ونهى تعالى عن القطيعة فقال في سورة الرعد فقال:{ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ(في الدنيا) وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ(في الآخرة)}(٢٥)، ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة– رضي الله عنه– أنه قال: سمعتُ رسولَ الله– صلى الله عليه وسلم– يقول:{ من سَرَّهُ أن يُبْسَطَ له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره فلْيَصلْ رحِمَه}، وبيَّن– صلى الله عليه وآله وسلم– أنّ صلة الأرحام لا تعني المكافئة ولكن الصلة حتى عند القطيعة لما جاء في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمرو– رضي الله عنهما– عن النبيّ– صلى الله عليه وآله وسلم– قال:{ ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكنِ الواصلُ الذي إذا قُطعَت رحمهُ وَصلَها}، وبيّن– صلى الله عليه وآله وسلم– أنّ صلة الله تعالى للمسلم مرهونة بصلته بأرحامه لما جاء في سنن الإمام أبي داود عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–:{ إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت: بلى، قال: فذاك لك، ثم قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: اقرؤا إن شئتم{ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم}، وبيّن– صلى الله عليه وسلم– أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن جُبير بن مطعم– رضي الله عنه– أخبرَ أنه سمعَ النبيَّ– صلى الله عليه وسلم– يقول:{ لا يدخُلُ الجنة قاطع}.

وأباح تعالى للفرد أن يأكل في بيوت أقاربه كما في قوله تعالى في سورة النور:{ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون}(٦١).

٧ – تنمية العلاقات الاجتماعية

تنمية العلاقات الاجتماعية العامة من الدين وسبيل لإقامة المجتمع الأمثل في الأرض وباب للترقي في المحبة والسعادة الإلهية، ولذلك أوجبها تعالى بين الغني والفقير بالزكاة والصدقة الأضحية وحضور الصلوات الخمس والجمعة والأعياد، والإحسان إلى الجيران واليتيم والأرملة والأطفال واللقطاء والمساكين وابن السبيل والسائلين والكفار والمشركين والمعاهدين الغير محاربين، وبالإحسان إلى الخدم والتحيَّة وعيادة المريض واتِّباع الجنائز وتوقير الكبير ورحمة الصغير وغيرها للوصول إلى المجتمع الأمثل.

أ – الزكاة

دفع الزكاة لمستحقيها من الدين وإقامة المجتمع الأمثل الذي ينشده تعالى للإنسانية في الأرض وتوطيد العلاقات الاجتماعية، وسبيل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية، والزكاة هي المال الذي يؤخذ من الأغنياء فيُرَدُّ على الفقراء في كل عام إذا بلغ النصاب ودار عليه الحول، وهي باب أمن المجتمعات ليأمن الغني على حياته وثرواته، ويأمن الفقير على حياته، ويسعد المجتمع في المحبة والسعادة الإلهية، وقد شرع تعالى أداء الزكاة فقال في سورة البقرة كذلك:{ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(١١٠)، وقال في سورة البقرة أيضا:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(٢٧٧)، ولما جاء في صحيح الإمام البخاري عن بن عباس– رضي الله عنهما– أن النبي– صلى الله عليه وآله وسلم– بعث معاذاً ابن جبل– رضي الله عنه– إلى اليمن فقال:{ ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتُرَدُّ على فقرائهم}.

ب – الصدقة

ليس للصدقة وقت محدد، بل يمكن بذلها في كل وقت، ودفع الصدقات لمستحقيها من الدين، ولتوطيد العلاقات الاجتماعية عمّة وبين الغني والفقير خاصة ليأمن الغني على حياته وثرواته، ويأمن الفقير على حياته، والصدقة طريق لإقامة المجتمع الأمثل في

الأرض، ولذلك حض الإسلام على الصدقة لقوله تعالى في سورة النساء:{ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً}(١١٤)، ورغب تعالى فيها بمضاعفة أجرها فقال تعالى في سورة الحديد:{ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ}(١٨)، وبيّن تعالى أنّ أجرها يضاعف إلى سبعمائة ضعف لقوله تعالى في سورة البقرة:{ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(٢٦١)، وأنه لا مساواة بين المتصدقين وغير المتصدقين لقوله تعالى في سورة النحل:{ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}(٧٥).

جـ – الأضحية

الأضحية من الدين، ولتوطيد العلاقات الاجتماعية بين الغني والفقير، ليأمن الفقير على حياته، ولإقامة المجتمع الأمثل في الأرض وسبيل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية.

د – الصلوات الخمس والجمعة والأعياد والحج

المحافظة على حضور الصلوات الخمس والجمع والأعياد والحج لمن استطاع إليه سبيلا من الدين وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض، ولتوطيد العلاقات الاجتماعية وسبيل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية، فالشهادتان شعار يوحد جميع المسلمين على هذه الأرض وكل من ينضم إليهم، والصلوات الخمس اجتماع يومي على مستوى الأحياء ليتعرف الناس على بعضهم وللنظر في أحوالهم الدينية والدنيوية، فيلتقي المسلمون في الحي الواحد خمس مرات في اليوم، وفي الجُمَعْ يجتمع الناس من عدة أحياء في مكان واحد، وفي عيدي الفطر والأضحى يلتقي أهل الأحياء ببعضهم في المدينة الواحدة، وفي الحج يجتمع المسلمين من كل أنحاء العالم متوحدين تحت شعار واحد.

هـ – الإحسان إلى الجيران

الإحسان إلى الجيران من الدين وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض وتوطيد العلاقات الاجتماعية، وسبيل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية، وقد حضّ تعالى على الإحسان إلى الجيران فقال تعالى في سورة النساء:{ وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً}(٣٦)، ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عائشةَ– رضيَ الله عنها– عنِ النبيِّ– صلى الله عليه وسلم– قال:{ ما زال جِبريلُ يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنهُ سيُوَرِّثه}، ولما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسولُ الله– صلى الله عليه وسلم–:{ من كان يُؤمن بالله واليوم الآخرِ فلا يُؤذِ جارَه، ومن كان يُؤمن بالله واليوم الآخِرِ فلْيُكرِم ضَيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخرِ فلْيَقُلْ خيراً أو ليَصمُت}، ولما ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال:{ قال رجل: يا رسول الله إن فلانة– يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها–، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال:{ هي في النار}، قال: يا رسول الله، فإن فلانة– يذكر من قلة صيامها صدقتها وصلاتها–، أنها تصدّق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال:{ هي في الجنة}، ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أبي شُرَيح– رضي الله عنه– أن النبيَّ– صلى الله عليه وسلم– قال:{ واللهِ لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن} قيل: ومَن يا رسولَ الله؟ قال:{ الذي لا يأمنُ جارهُ بوائقَه}، والبوائق هي اختلاسات العين واليد وجميع الشرور.

و – الإحسان إلى اليتيم والأرملة

الإحسان إلى اليتيم والأرملة من الدين وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض ولتوطيد العلاقات الاجتماعية وسبيل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية، وقد حضّ تعالى على عدم استغلال أموال اليتامى فقال في سورة الإسراء:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً}(٣٤)، وأمر بالإنفاق عليهم فقال في سورة الإنسان:{ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً}(٨)، ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن سهل بن سعد– رضي الله عنه– عن النبيِّ– صلى الله عليه وسلم– قال:{ أنا وكافلُ اليتيم في الجنَّةِ هكذا، وقال بإصبَعَيهِ السَّبّابة والوُسطى}، وكما جاء في

صحيح الإمام البخاري عن صَفوانَ بن سُليمٍ- رضي الله عنه- يرفعُه إلى النبيِّ- صلى الله عليه وسلم- قال:{ الساعي على الأرملةِ والمِسكين كالمجاهد في سبيلِ الله، أو كالذي يصوم النهارَ ويقومُ الليل}، كما وحرَّج- صلى الله عليه وآله وسلم- الاعتداء على حقوقهما كما جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:{ اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة}.

ز - الإحسان إلى الأطفال ومجهولي الآباء

الإحسان إلى الأطفال واللقطاء من الدين وإقامة المجتمع الأمثل في الأرض، وتوطيد العلاقات الاجتماعية وسبيل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية، ولذلك بيّن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنّ من يدبر أمور صغار الأبناء يكون له سترا من النار لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن أم المؤمنين عائشةَ- رضي الله عنها- زوجَ النبي- صلى الله عليه وسلم- قالت:{ جاءتني امرأةٌ معها ابنتانِ تَسألني، فلم تجدْ عندي غيرَ تمرةٍ واحدة، فأعطيتها، فَقَسَمَتْها بينَ ابنتيها، ثم قامت فخرَجَت، فدخلَ النبيُّ- صلى الله عليه وسلم- فحدَّثتُه، فقال:{ من يَلي من هذهِ البناتِ شيئاً فأحسَن إليهنَّ كنَّ له سِتراً من النار}، وكما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي التَّيّاح- رضي الله عنه- قال: سمعتُ أنسَ بن مالك- رضي الله عنه- يقول:{ إن كان النبيُّ- صلى الله عليه وسلم- ليخالِطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير:{ يا أبا عُمَير ما فَعلَ النغَير؟}، وكما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عائشةَ- رضيَ الله عنها- قالت:{ كنتُ ألعَبُ بالبنات عندَ النبي- صلى الله عليه وسلم-، وكان لي صَواحبُ يَلعبنَ معي، فكان رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- إذا دخل يَتَقَمَّعْنَ منه، فيُسَرِّبهنَّ إليَّ فيلعَبْنَ معي}.

حـ - الإحسان إلى المساكين وابن السبيل والسائلين

الإحسان إلى المساكين وابن السبيل والسائلين من إقامة الدين في الأرض، وباب من أبواب تعزيز العلاقات الاجتماعية للوصول إلى المجتمع الأمثل وسبيل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية، ولذلك حضّ تعالى على الإحسان إليهم في قوله تعالى في سورة الروم:{ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(٣٨)، ولقوله سبحانه في سورة البقر:{ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ

الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِـاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَـى الْمَالَ عَلَـى حُبِّـهِ ذَوِي الْقُرْبَـى وَالْيَتَـامَى وَالْمَسَـاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّـآئِلِينَ وَفِـي الرِّقَـابِ وَأَقَـامَ الصَّـلاةَ وَآتَـى الزَّكَـاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْـدِهِمْ إِذَا عَاهَـدُواْ وَالصَّـابِرِينَ فِـي الْبَأْسَـاء والضَّـرَّاء وَحِـينَ الْبَـأْسِ أُولَـئِكَ الَّـذِينَ صَـدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}(١٧٧)، ولقولـه تعـالى فـي سورة النسـاء:{ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِـهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِـذِي الْقُرْبَـى وَالْيَتَـامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَـارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً}(٣٦)، كما جعل تعالى لهم نصيباً من غنيمة الحرب فقال في سورة الأنفـال:{ وَاعْلَمُـواْ أَنَّمَـا غَنِمْـتُم مِّـن شَـيْءٍ فَـأَنَّ لِلّهِ خُمُسَـهُ وَلِلرَّسُـولِ وَلِـذِي الْقُرْبَـى وَالْيَتَـامَى وَالْمَسَـاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِـاللهِ وَمَـا أَنزَلْنَـا عَلَـى عَبْـدِنَا يَـوْمَ الْفُرْقَـانِ يَـوْمَ الْتَقَـى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ}(٤١)، وخصص تعالى لهم نصيباً من الفيء فقال في سورة الحشر:{ مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَـى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَـيْ لا يَكُونَ دُولَـةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْـهُ فَـانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(٧)، وفرض تعالى لهم من الزكاة فقال تعالى في سور التوبـة:{ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}(٦٠).

ك – الإحسان إلى الكفار والمشركين المسالمين والمعاهدين

الإحسان إلى الكفار والمشركين المسالمين والمعاهدين من إقامة الدين في الأرض، وباب من أبواب تعزيز العلاقات الاجتماعية للوصول إلى المجتمع الأمثل وسبيل للترقي في المحبة والسعادة الإلهية لقوله تعالى في سورة الممتحنة:{ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَـاتِلُوكُمْ فِـي الـدِّينِ وَلَـمْ يُخْرِجُـوكُم مِّـن دِيَـارِكُمْ أَن تَبَـرُّوهُمْ وَتُقْسِـطُوا إِلَـيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِـبُّ الْمُقْسِطِينَ}(٨)، وقد نهى تعالى عن الإساءة إلى أحدهم أو غيرهم، وبيّن تعالى أنّ من يفعل ذلك فإنه مجازى به لقوله تعالى سورة النساء:{ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا}(١٢٣)، كما وأمر تعالى بعدم سب الكفار فقال تعالى سورة الأنعام:{ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَـدْوًا بِغَيْـرِ عِلْـمٍ كَـذَلِكَ زَيَّنَّـا لِكُـلِّ أُمَّـةٍ عَمَلَهُـمْ ثُـمَّ إِلَـى رَبِّهِـمْ مَـرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّـئُهُمْ بِمَـا كَـانُوا يَعْمَلُونَ}(١٠٨)، واباح تعالى إجارة المشرك الغير محارب فقال تعالى في سورة التوبة:{ وَإِنْ

أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ}(٦)، ولا مانع من إعطائهم الهدية لما جاء في صحيح الأمام البخاري عن ابنَ عمرَ – رضي الله عنهما– يقول:{ رأى عمرُ حُلَّةً سِيَراءَ تباع، فقال: يا رسولَ الله، ابتَعْ هذهِ والبَسْها يومَ الجمعة وإذا جاءَكَ الوفود، قال: إنما يَلبسُ هذه من لا خَلاقَ له، فأُتيَ النبيُّ– صلى الله عليه وسلم– منها بحُلَل، فأرسلَ إلى عمرَ بحلةٍ فقال: كيف ألْبسُها وقد قلتَ فيها ما قلتَ؟ قال: إني لم أعطكَها لتَلبَسَها، ولكن تَبيعها أو تَكسُوها، فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهلِ مكةَ قبلَ أن يُسلم}، ونهى– صلى الله عليه وآله وسلم– عن ظلم المعاهد وغيره لما ورد في سنن الإمام أبو داود عن صفوان بن سليم– رضي الله عنه– عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله– صلى الله عليه وسلم– عن آبائهم عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال:{ ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة}.

ل – الإحسان إلى الخدم

الإحسان إلى الخدم من إقامة الدين وباب من أبواب تعزيز العلاقات الاجتماعية للوصول إلى المجتمع الأمثل والرقي في المحبة والسعادة الإلهية لما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أنسٌ– رضيَ الله عنه– قال:{ خَدمتُ النبيَّ– صلى الله عليه وسلم– عشر سنينَ، فما قال لي أُفّ، ولا: لمَ صَنعتَ؟ ولا: ألا صنعت}، ولما جاء في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه– قال:{ رأيتُ على أبي ذر–رضي الله عنه– بُرْداً وعَلَى غُلامهِ بُرداً، فقلت: لو أخذتَ هذا فلبِستَه كانت حُلة، وأعطيتَهُ ثوباً آخر، فقال: كان بيني وبينَ رجلٍ كلام، وكانت أمُّه أعجميَّة، فنِلتُ منها، فذكرَني إلى النبيِّ– صلى الله عليه وسلم– فقال لي: أسابَبْتَ فلاناً؟ قلت: نعم، قال: أَفنِلْتَ من أمِّه؟ قلتُ: نعم. قال: إنكَ امرؤٌ فيكَ جاهلية، قلتُ: على حينِ ساعتي هذهِ من كِبر السنّ؟ قال: نعم، هم إخوانُكم جَعَلهم اللّهُ تحتَ أيديكم، فمن جعلَ اللّهُ أخاهُ تحتَ يدهِ فلْيُطْعِمْهُ مما يأكل، ولْيُلْبِسْه مما يَلبَس، ولا يكلّفه من العملِ ما يَغلبه، فإن كلفَهُ ما يَغلِبُه فليُعِنه عليه}.

م – توقير الكبير ورحمة الصغير

توقير الكبير ورحمة الصغير من إقامة الدين وباب من أبواب تعزيز العلاقات الاجتماعية للوصول إلى المجتمع الأمثل والرقي في المحبة والسعادة الإلهية لما ورد في سنن الإمام أبو داود عن بن السرح– رضي الله عنه– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال:{ من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا}.

ن – التحيَّة وعيادة المريض واتِّباع الجنائز

التحيَّة وعيادة المريض واتِّباع الجنائز من إقامة الدين، وباب من أبواب تعزيز العلاقات الاجتماعية للوصول إلى المجتمع الأمثل وللترقي في المحبة والسعادة الإلهية لقوله تعالى في سورة النور:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(٢٧)، ولقوله تعالى في سورة النور أيضا:{... فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون}(٦١)، وقد أمر تعالى بردِّ التّحية بأفضل منها كما قال في سورة النساء:{ وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً}(٨٦)، ولما ورد في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–:{ والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ثم قال: هل أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ افشوا السلام بينكم}، ولما جاء في صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– يقول:{ حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس}.

٨ – دعوة الناس إلى الإسلام

دعوة الناس لدين الله تعالى من أوسع الأبواب وأهمّها لإقامة الدين في الأرض وإقامة المجتمع الأمثل المنشود في الأرض والرقي في المحبة والسعادة الإلهية، وقد بيّن تعالى أنّ دعوة الناس للإسلام من أشرف الأعمال وأجلها، ولذلك أمر تعالى رسوله– صلى الله عليه وآله وسلم– ومن تبعه بتبليغ الدين للناس كافة، وبيّن أنّ القرآن أنزل للناس عامة،

ولذلك لعن تعالى كاتمي رسالاته، وبدأ تعالى بدعوة الناس لدينه بنفسه العلية، وبيّن أن الجن بلّغوا الإسلام لأقوامهم فعلى المسلم القيام بهذا الواجب خير قيام.

أ – وجوب دعوة الناس إلى الإسلام

بيّن تعالى أنّ دعوة الناس للإسلام من أشرف الأعمال وأجلها لقوله تعالى في سورة فصلت:{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}(٣٣)، وبيّن تعالى لرسوله– صلى الله عليه وآله وسلم– أهمية تبليغ الدين للناس كما قال تعالى في سورة المائدة:{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}(٦٧)، وبيّن تعالى أنها مسؤولية تبليغ الدعوة يحملها أتباع النبي– صلى الله عليه وآله وسلم– لقوله تعالى في سورة يوسف:{ قُلْ هذه سَبِيلِيَ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(١٠٨)، فالقرآن أُنزل للناس كافة لقوله تعالى في سورة الفرقان:{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}(١)، ولقوله تعالى في سورة القلم:{ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ}(٥٢)، ولقوله تعالى في سورة ص والتكوير:{ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ}(٨٧)،(٢٧)، ولقوله تعالى في سورة سباء:{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}(٢٨)، ولقوله تعالى في سورة الأعراف:{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّموَاتِ والأَرْضِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ يحيي ويُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِه واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(١٥٨)، ولقوله تعالى في سورة الزمر:{ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ}(٤١)، ولقوله تعالى في سورة الجاثية:{ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}(٢٠)، ولقوله تعالى في سورة إبراهيم:{ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}(٥٢)، ولقوله تعالى وفي سورة النحل:{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ(٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(٤٤).

ثم إنّ رسول الله– صلى الله عليه وآله وسلم– بُعث للناس قاطبةً لما ورد في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن جابرُ بنُ عبدالله– رضي الله عنه– أَنَّ النبيَّ–

صلى الله عليه وسلم- قال:{ أُعْطِيتُ خَمساً لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصِرْتُ بالرُّعْب مَسِيرَةَ شَهرٍ، وجُعِلَتْ ليَ الأرضُ مَسجِداً وطَهوراً، فأَيُّما رَجُلٍ من أُمَّتي أدرَكَتْهُ الصلاةُ فلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ ليَ المَغانِمُ ولم تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلي، وأُعْطِيتُ الشفاعَةَ، وكان النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَومِه خاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النّاسِ عامَّة}، ولما ورد في مسند الإمام احمد عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:{ أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ، وَكانَ النّبِيُّ إنّما يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلى النّاسِ عَامّةً، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأرض طَهُوراً وَمَسْجِداً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصّلاةُ فَلْيُصَلِّ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ}، وقد أمر رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- المسلمين بتبليغ الإسلام للناس، ولو آية لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن عبدِ اللهِ بن عمرٍو- رضي الله عنهما- أنَّ النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- قال:{ بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّداً فليتَبوَّأْ مَقعدهُ منَ النار}، ولما ورد عن الإمام أبي داود في سننه عن أبي أُمَامَةَ- رضي الله عنه-:{ أَنَّ رَجُلاً قال: يَا رَسُولَ الله ائْذَنْ لِي بالسِّيَاحَةِ، قال النَّبيُّ- صلى الله عليه وسلم:{ إنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ في سَبِيلِ الله عَزَّ وَجَلَّ}، والجهاد هو "المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أَو اللسان أَو ما أَطيق من شيء" كما جاء في قاموس لسان العرب.

وبيّن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- أنّ أجر دعوة الناس للإسلام أفضل من حمر النِعم لما ورد في مسند الإمام أحمد عن معاذ بن جبل- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- قال له: { يا معاذ، لأن يهدي الله على يديك رجلاً من أهل الشرك، خير لك من أن يكون لك حمر النعم}، ولما ورد في صحيح الإمام البخاري عن سهلٌ ابنَ سعدٍ- رضيَ الله عنه- قال: قال النبيُّ- صلى الله عليه وسلم- يومَ خَيبرَ:{ لأُعطِينَّ الرايةَ غداً رجلاً يَفتحُ اللهُ على يديهِ يُحِبُّ اللهَ ورسوله ويُحبُّه اللهُ ورسولهُ}، فباتَ الناسُ لَيلَتَهم أيهم يعطى، فغَدَوا كلُّهم يَرجوه، فقال: أين عليٌّ؟ فقِيل: يَشتَكي عينيهِ، فبصَقَ في عَينيهِ ودَعا لهُ فبَرأَ كأنْ لم يكن بهِ وجَعٌ، فأعطاهُ، فقال: أُقاتلُهم حتّى يَكونوا مِثلَنا، فقال:{ انفُذ على رِسْلكَ حتّى تنزِلَ بساحتِهم، ثمَّ ادعُهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجبُ عليهم، فو اللهِ لأنْ يَهدِيَ اللهُ بكَ رجُلاً خَيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم}.

وقد لعن تعالى كاتمي رسالاته كما قال في سورة البقرة:{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ}(١٥٩)، وقد بدأ تعالى بدعوة الناس لدينه بنفسه العلية فقال في سورة البقرة:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(٢١)، ولكي لا يكون عذر للمؤمنين بعدم تبليغ دينه بيّن تعالى أن الجن قاموا بواجب تبليغ الإسلام لأقوامهم كما أخبر تعالى عنهم في سورة الأحقاف فقال:{ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ(٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ(٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(٣١) وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}(٣٢).

فبذل الجهد بدعوة الناس لدين الله تعالى في سبيل إقامة الدين في الأرض في النفس وفي الآخرين بالأموال والأنفس هي التجارة الرابحة مع الله تعالى، وهي خير تجارة لمغفرة الذنوب في الدنيا، وهي الفوز الحقيقي العظيم لدخول الجنان في الآخرة والمساكن الطيبة التي تجري من تحتها الأنهار، وبتلك التجارة الرابحة تتحقق الانتصارات والفتوحات في الأرض، وهي البشرى العظيمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة لقوله تعالى في سورة الصفّ:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}(١٣).

فينبغي على الأمة ألّا تغفل عن وجوب دعوة الناس للإسلام، وأن يكون ذلك من غايتها العظمى الذي تجتمع كلمتها عليه، وأن تبتكر كل السبل المشروعة لدعوة الناس للإسلام، فبدعوة الناس للإسلام يرقى المسلم في إقامة الدين في الأرض وفي المحبة والسعادة الإلهية التي يمنحا تعالى لعباده.

ب – بم ندعوا الناس؟

غايتنا من دعوة الناس إقامة المجتمع الأمثل الذي يرتضيه تعالى في الأرض للفرد والأسرة والمجتمع بالقيم والشرائع العادلة التي دعا إليها الإسلام واتباع هديه ودينه تعالى، والبُعد عن الشقاء بترك الإعراض عن ذكره تعالى في السنّة خالدة التي بيّنها تعالى للسّعادة أو الشقاء والتي بيّنها تعالى في قوله في سورة طه:{ ... فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى}، لنيل السعادة والمحبة الإلهة في الدنيا قبل الآخرة، وبيان أنّ لله تعالى سنن لا تتغير ولا تتبدل في كل أصناف الناس والتي تمّ بيانها في الفصل الأول، وأنّ الله تعالى أوجب إقامة دينه لنيل تلك السعادة كما بُيِّن في الفصل الثاني، وإرشادهم إلى سبل الترقي في المحبّة والسعادة الإلهية في الدنيا قبل الآخرة والتي تمّ شرحها في الفصل الثالث، آخذين في الاعتبار أمران، الأمر الأول إيصال هذه الرسالة بالحكمة والموعظة الحسنة للناس، والأمر الثاني، أنّ الدافع من إيصال الدين للناس المحبة لهم لينالوا السعادة في الدنيا قبل الآخرة، والشفقة عليهم من أن ينزل عليهم عذابه تعالى إن هم أعرضوا.

خلاصة المبحث الثالث

لا يمكن الترقي في المحبة والسعادة الإلهية إلّا بالترقي في بذل الجهد لإقامة دين الله تعالى في النفس وفي الآخرين، وذلك بالترقي في الإيمان والعبادات وفعل الخير وإقامة العدل والنهي عن الظلم والفساد، وفي الترقي في الأخلاق، وفي العلاقة الأسرية والاجتماعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على جمع كلمة المسلمين، وإعداد ما يستطاع من قوة على مستوى الأفراد في العلم وحسن تدبير المال وكل ما من شأنه إعلاء الأمة ورفع مكانتها، ودعوة الناس إلى الإسلام، فلا بد من الترقي في النّيات والأعمال وتغيير الحال إلى الأحسن للترقي في المحبة والسعادة الإلهية التي يمنحها تعالى للناس في الدنيا قبل الآخرة.

خاتمة الكتاب

ضمن تعالى للناس الرضى الشامل في كل جوانب الحياة الدنيا قبل الآخرة باتباع هديه تعالى، وضمن تعالى الشقاء في الدنيا قبل الآخرة بالإعراض عن دينه وذكره تعالى لقوله تعالى في سورة طه:{ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى(١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**}(١٢٤)، فله تعالى سنن ماضية لا تتغير ولا تتبدل في كل فرد من أفراد خلقه في كل لحظة وحين إلى قيام الساعة، وله تعالى سنن مختلفة في عموم الناس، وله تعالى سنن مختلفة في المنافقين، وللكافرين سنن، ولأهل الكتاب سنن، وللنبيّين سنن، وللمؤمنين إن أطاعوا سنن، وإذا عصوا سنن، فعلى الفرد تجنب أسباب الشقاء والعمل على الارتقاء في مراتب المحبة والسعادة الإلهية في الدنيا قبل الآخرة بالترقي في إقامة الدين في الأرض وأخذه بقوة دون أي تفريط والالتزام بشرائعه تعالى في العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات لإقامة المجتمع الأمثل الذي ينشده تعالى لخلقه في الدينا.

الكتاب في سطور

إنّ الله تعالى وحده هو الذي يدير هذا الكون ويدبر أمره لحظة بلحظة، ويمضي تعالى سننه في كل إنسان كلٌ على حدة، وقد أخذ الله تعالى العهد على نفسه بإسعاد من اتبع هديه تعالى وإشقاء من أعرض عن ذكره في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى في سورة طه:{ .... فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}(١٢٤)، فلله تعالى سَنَن لا تتغير ولا تتبدل في عموم الناس، وله تعالى سنن في المنافقين، وللكافرين سنن، وللرسل وأزواجهم سنن، وللمؤمنين سنن، ومن سننه تعالى ابتلاء الناس أجمعين لتمحيص درجات كل منهم، ولذلك أمر تعالى بإقامة دينه في الأرض لإسعاد من آمن والتزم وإشقاء من أعرض وتولّى، وقد بيّن تعالى أنّ الترقي في إقامة دينه في النفس والآخرين يؤدي إلى الترقي في المحبة والسعادة الإلهية التي يمنحها تعالى لعباده في الدنيا قبل الآخرة، فعلا الفرد أن يترقى في الإيمان والعبادات وفعل الخير وإقامة العدل والنهي عن الظلم والفساد، وفي الأخلاق، وفي العلاقة الأسرية والاجتماعية، والعمل على جمع كلمة المسلمين، وإعداد ما يستطاع من قوة بالعلم وحسن تدبير المال، ودعوة الناس إلى الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل ما يعزز إقامة الدين في الأرض، ليترقى في محبة الله تعالى ورضوانه في الدنيا قبل الآخرة، فما أنزل تعالى دينه إلّا رحمة للعالمين، فشرائعه تعالى تهذب الفرد والأسرية والمجتمع وتؤدي إلى إقامة المجتمع الأمثل في الأرض والذي ينشده تعالى للبشرية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- صحيح الإمام البخاري، المكتبة الشاملة.
- صحيح الإمام مسلم، المكتبة الشاملة.
- سنن الإمام الترمذي، المكتبة الشاملة.
- سنن الإمام النسائي، المكتبة الشاملة.
- مسند الإمام أحمد، المكتبة الشاملة.
- السنن الكبرى، للإمام البيهقي، المكتبة الشاملة.
- شعب الإيمان للإمام البيهقي، المكتبة الشاملة.
- لسان العرب، ابن منظور.
- الموسوعة الحرة، ويكابيديا، موقع على الشبكة الاكترونية (٢٥٠ لغة).
- كتاب إشراقة أمة، فؤاد محمود آل محمود.
- كتاب الحل الإسلامي للحضارة الإنسانية، فؤاد محمود آل محمود.

السيرة الذاتية

أولا: المعلومات الشخصية

الاسم: فؤاد محمود إبراهيم آل محمود
الهاتف النقال: ٠٠٩٧٣ ٣٩٦٧٠٦٢٩
البريد الإلكتروني: fuad.m.e.a.m@gmail.com
الموقع الالكتروني: www.saadah.info
الحالة الاجتماعية: متزوج

ثانيا: المؤهل العلمي

ماجستير إدارة أعمال
بكلوريا هندسة ميكانيكية

ثالثا: العمل السياسي

عضو مؤسس في جمعية الوحدة الوطنية
عضو مؤسس في جمعية الشورى الإسلامية سابقا

رابعا: العمل الاجتماعي

عضو مؤسس في الجمعية الإسلامية وعضوا مجلس إدارة وأمين سر مجلس الإدارة
عضو في لجنة الحد الأهلية وعضو اللجنة التنسيقية بين الجمعيات الأهلية سابقا
عضو في جمعية الحد التعاونية الاستهلاكية، وعضو مجلس إدارة (١٩٨٩م-٢٠١٠م)

خامسا: المؤلفات

- كتاب إشراقة أمة ٢٠١٢م
- كتاب الحل الإسلامي لمشاكل الحضارة الإنسانية ٢٠١٤م
- كتاب كيف نسعد في الدنيا ٢٠١٨م